نعوت المسلمين في بلاد الشَّام

من خلال رحلة الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش

(496- 559هـ/ 1102- 1164)

(دراسة مقارنة)

الدكتور: أحمد عبد الكريم الدالي – عضو هيئة تدريسية – قسم التاريخ

كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة البعث

مُلخَّص البحث باللغة العربية

تُعدُّ رحلة الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش، من أهم الرحلات الأجنبيَّة التي تناولت بالوصف بعض الأماكن في بلاد الشَّام، واعتنت بتقديم وصف لكافة مظاهر الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والحضارية العمرانية.

ومن خلال البحث سيتمُّ التعريف بالرحَّالتين سايلوف، وثيودوريش، وخط سير رحلتهما، ومواردهما، وأهمية رحلة كل واحد منهم، ثمَّ تقديم وصف لأهم النعوت التي أطلقها هؤلاء على العرب المسلمين في بلاد الشام – دراسة مقارنة.

الكلمات المفتاحية: (رحالة، إنكليزي، ألماني، الدوافع، النعوت، مُقارنة، مُعتقدات، أخلاق، العرب المسلمين).

Abstract

The journey of the Englishman Saylwf and the German Theodorish is considered one of the most important foreign trips that dealt with the description of some places in the Levant, and took care to provide a description of all aspects of social, economic, political, and urban life.

Through the research, the two travelers Saylwf and Theodorish will be introduced, their itinerary, their resources, and the importance of each one of them's journey, then a description of the most important epithets that they called the Muslim Arabs in the Levant will be presented – a comparative study.

Keywords: (traveler, English, German, motives, epithets, comparison, beliefs, morals, Muslim Arabs).

مقدمة:

شَغِلَ الحديث عن بلاد الشام، والأماكن المُقدَّسَة منها بشكلٍ خاص حيّزاً كبيراً من كتابات الرحَّالة الأجانب، لِمَا لهَا من أهمِّيَّة تاريخيَّة ودينيَّة، إذ شَهدتْ بلادُ الشام زيارة عدد كبير منهُم في أعقاب اعتناقَهُم للمسيحيَّة، وكانَ الدَّافع لهذهِ الرِّحَلات في بداياتِها زيارة أماكن العبادة في الأراضي المُقدَّسة، ولهذا الدافع تَقاطرت الرِّحلات الأجنبية مع بدايات القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، حتَّى صارَ حُضورُ الرحَّالةَ إلى هُناك من الأمور المألوفة، فقد تعرَّفَ هؤلاء الرحَّالة على أماكن العبادة المسيحيَّة والإسلاميَّة، وتناولوا بالوصفِ ما شاهدوهُ مِنها.

لكنْ خلالَ القُرون(5- 7هـ/11- 13م)، اتَّخذت هذه الرِّحلات طابعاً جديداً، فكما هو معروف أنَّ الحملاتَ الصليبيةُ انطلقت من الغرب الأوربيِّ إلى الشرق؛ لاحتلال الأراضي المُقدَّسة بدوافع دينيَّة وهميَّة تكمن في زيارة أماكن العبادة، والحجِّ إليها، وهذا في نظرِ الغربِ الأوروبيِّ، في حين أنَّ الدَّافع الحقيقي لها دافعٌ اقتصاديٌّ وعسكريٌّ يكمُن في السيطرة على ثروات الشرق الإسلاميِّ واحتلال أراضيه.

إذ بقيت الأراضي المُقدَّسة محطُ أنظار ملك انكلترا ريتشارد قلب الأسد(552- 595هـ/ 1157- 1199م) خلال القرن السادس الهجري القرن/ الثاني عشر ميلادي مصدرُ الهامٍ لاقتلاع العرب في الشرقِ الساحرِ، وبذلك إنَّ الطابعَ الجديدُ الَّذي اتَّخذتهُ الرِّحلات الأجنبيَّة إلى بلاد الشام و الأراضي المُقدَّسة منها، هو طابعٌ تشجيعيٌّ يكمُن بقيام الرحَّالة بتقديم وصف عن الأراضي المُقدَّسة وتبيانُ أهميتُها، ووصف جمال طبيعتُها وخيراتُها، وتقديمُ هذا الوصفُ للقُرَّاء في الغربِ الأوروبيِّ.

وبالتالي تشجيعهم على الهجرة إلى الأراضي المقدسة، والاستقرار هُناك وتخليص ما تبقَّى من أراضي بيت المَقدس من أيدي العرب المسلمين، وهذا ما تضمَّنتهُ أغلبُ الرِّحلات الأجنبيَّة، والتي لمْ تقفْ عند هذا الحدُّ، بل تضمَّنت وصفاً لجُغرافيَّة بلاد الشام، ومعالمُها الدينيَّة والأثريَّة، وأحوالها الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة مع عدم اغفالها لحركات المقاومة الشعبيَّة العربيَّة الإسلاميَّة لحملاتٍ صليبيَّة ظالمة ظاهرُهَا ديني إلهي، وجوهرُهَا مالي وحشي، هدفت لحلَّ أزمات اقتصاديَّة لبلاد غربيَّة كانت تُعاني الفقر الجوع، والبرد، وظلمَ اقطاعيين غربيين.

إشكالية البحث:

يطرحُ البحث إشكاليات وفرضيات عدَّة منها: معرفة الأسباب التي دفعت الرحَّالتين الإنكليزي سايلوف والألماني ثيودوريش إلى زيارة بلاد الشام، فهل هي دوافع دينيَّة أم سياسيَّة أم علميَّة أم رسميَّة أم بهدف التجارة ؟، ومناقشة فكرة نقد أدب الرِّحلة، فهل من الممكن الأخذ بكامل المعلومات التي احتوت عليها الرحلات فيما يتعلَّق بالحياة الاجتماعية، وخاصة أنَّ هؤلاء الرحالة قدَّموا في غالب الأحيان صورة سلبية عن العرب المسلمين، وبجانب آخر أنَّ رحلاتهم ركَّزت على الجانب الديني، فما هو مدى صحة المعلومات التي قدموها عن الجانب الاجتماعي؟.

أهمية البحث:

يُعدُّ البحث ذا أهمية بالنسبة للباحثين في حقل الدراسات الطبوغرافية والاجتماعية، ومن جهة أخرى فإنَّ المادَّة التي احتوت عليها مضمون الرحلتين غنيَّة بالمعلومات، إذ إنَّ كتاباتهم تسدُّ جانباً له شأنه في تاريخ بلاد

الشام، والأماكن المُقدَّسة؛ لاحتوائها على إشارات قيِّمة على الأصعدة الاجتماعيَّة، و الجُغرافيَّة، و الاقتصاديَّة، والدينيَّة، وغيرها.

أهداف الدراسة:

توضح الدراسة مجموعة أهداف أهمها:

تسليط الضوء على نموذجٍ من كتابات الرحَّالة الإنكليز والألمان، ومقارنتها مع كتابات الرحَّالة الأجانب الأخرى، فيما يخصُّ فئة المسلمين في بلاد الشام، وتبيانُ اهتمام الرحَّالة الإنكليز والألمان بزيارة بلاد الشام، وتقديمهم وصفاً لها.

الإطار النظري للبحث:

تتمثل الحدود المكانية للبحث بالحديث عن نعوت وصفات المسلمين في بلاد الشام، وتنحصر حدوده الزمانية من خلال انتقاء نموذجاً من كُتب الرحَّالة الإنكليز والألمان، ومُقارنتها مع الرحلات الأجنبية الأخرى خلال الفترة (496- 559هـ/ 1102- 1164).

منهج البحث :

سيُتَّبع في البحث المنهج التاريخي، بتناول الرِّحلتين موضوع الدراسة، من حيث التعريف بالرحَّالة، ودوافع الرحلة، وخطُّ سيرها، ومضمونها، ومنهجها، ومواردها، وأهميتها، مع التعريف فقط بالرحَّالة الأجانب موضوع المقارنة ضمن الحواشي.

وسيُعتمد على المنهج المُقارن بالحديث عن نعوت المسلمين في بلاد الشام، من خلال رحلة الإنكليزي سايلوف، والألماني ثيودوريش، بذكر مُسمَّياتِها، بما يَتوفَّر في الرحلتين موضوع الدراسة، مُقارنة مع ما يتوفَّر من معلومات عنها في الرحلات الأجنبية، ولمَّا كان من العسير تناول جميع هذا

النوع من الرِّحلات، فقد كان أسلوب البحث انتقائياً؛ إذ تمَّ اختيار رحلتين خلال الفترة ما بين(496- 559هـ/ 1102- 1164)، وهما رحلة الإنكليزي سايلوف، والألماني ثيودوريش.

1- الرحَّالة الإنكليزي سَايلُوف (496- 497هـ/ 1102- 1103م):

أ- التعريف بالرحالة:

سايلوف رحَّالة إنجليزي مجهول الاسم والكنية، عُرِف عنه كُثرة ترحاله وسفره، ولِذا لُقِّبَ بسَايلُوف الإنكليزي، والتي تعني بترجمتها اللاتينية " كلب البحر"، مع الأخذ بعين الاعتبار أنَّ كلمة (wulf) شائعة كتعبير في الأسماء الإنكليزيَّة، وكلّ ما عرُف عنه أنَّه أحد رجال الكَّنيسة أو الدِّين العلمانيين في إنكلترا، ويتَّضح ذلك من خلال قراءة ما بين الأسطر في رحلته والتي تدلّ على عاطفته الدِّينيَّة الجيَّاشة[1].

ب- دوافع الرحلة:

تجلَّت برغبة الرَّحَّالة سايلوف بزيارة الأماكن الدينية والمواقع المسيحيَّة المُرتبطة بسيرة السَّيِّد المسيح(عليه السلام)[2]، وبدَا هذا الدَّافع واضحاً ومُتجلِّياً في عاطفته الدِّينيَّة الجيَّاشة لرؤية أرض الميعاد، والدَّليل على ذلك أنَّ رحلته لمْ تتجاوز رؤية الأراضي المُقدَّسة المُتعلِّقة بالمسيح وأمّه؛ وهذا ما عبَّر عنه

---

[1] سايلوف: رحلة الحاج سايلوف لبيت المقدس والأراضي المقدسة(1102- 1103م)(وصف الأراضي المقدسة)، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، رام الله- فلسطين، ط1، 1997م، ص5.

[2] عوض(محمد مؤنس): الرحَّالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1992م، ص16.

بقوله: « ورأيتُ الأماكن المقدَّسة حول البيت المقدَّس التي عانقها المسيح بقُدسيته، وحيثُ ظهرت عليه المعجزات».

ويبدو أنَّ رغبة سايلوف في نقلِ تجربتِهِ ومشاعرهِ الدِّينيَّة عقبَ زيارة الأماكن المُرتبطة بالمسيح وآلامه إلى أولئك الَّذين لمْ يتمكَّنوا من زيارتها، وتضمينها في كتاب وتقديمها للقُرَّاء، كان سبباً في ارتحاله إلى الأراضي المُقدَّسة في فلسطين[1].

وبذلك كانت رحلته بمثابة الدَّليل المُرشِد لغيرَه من الحُجَّاج الَّذِّين يقدمون إلى الشَّرق حتَّى يتعرَّفوا على الأماكن ذات الصِّلةِ بذكرياتِ المسيحيَّة في عهدها المُبكِّر في الأراضي المُقدَّسة[2]، وربَّما كان السبب الذي دفعه إلى ذلك غلبة التَّعصُّب الدِّيني على شخصيته، والذي تجلَّى بعاطفته الدِّينيَّة الجيَّاشة، التي عبَّر عنها بقوله: « ما الغريب والعجب في زيارة المسيحيين إلى الأرض التي تُحدِّثُنا عن جميع كنائسِ المسيح وما المانع لزيارتها؟! فقد بجَّلَ النَّاس القُدماء قُدس الأقداس، لأنَّه كانَ هُناك تابوت العهد...، أو ليسَ ضريحُ المسيح يستحقُّ العبادة منَّا أكثر من أيِّ شيءٍ آخر؟!.»[3].

ومن الأهمية بمكان القول: إنَّ رغبة سايلوف في استجلاءِ سحرِ الشَّرق وغموضه، ومُشاهدة معالمهُ بوصفه عالماً غريباً عن أعيُن الغرب الأوربيِّ، سيَّما بعد السَّيطرة الصَّليبيَّة على بيت المقدس، قد دفعه لزيارة تلك الأراضي، وعلى هذا فإنَّ التَّعرُّف عن قُرب إلى العالمِ العربيِّ الإسلاميِّ،

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص22.

[2] عوض: الرحَّالة الأوربيون، ص10.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص28.

وسُكَّان الأرض المُقدَّسة، كان دافعاً مُهمَّاً همَّ بسايلوف للانطلاق إلى المشرق العربي الإسلامي.

ولعلَّ حبَّه لوصف معالم الشَّرق وسحره وطبيعته كان مُقدِّمة لتقاريرٍ سريَّة[1] أُرسلت إلى أوربَّة ليقرأها رجال الدِّين على المسيحيين هُناك، فتكونُ وسيلةً أُخرى من وسائل التَّرويج الإعلامي والدِّعاية للقيام بحملاتٍ صليبيَّة جديدة، وتخليص ما تبقَّى من مناطق من أيدي العرب المسلمين، سيَّما بعد تأسيس مملكة بيت المقدس الصَّليبيَّة، لأنَّها على حدِّ زعمهم هي أرض الميعاد، وهمُ سُكَّانُها الأصليين، وبناءً عليه فإنَّ رحلة سايلوف ما هي إلَّا دعاية واقعيَّة، كتبَها أحد رجالُ الدِّين المُخلصين للمسيحيَّة، وقدَّمها على شكل خريطة للقادمين الجُدد[2].

ج- زمن الرحلة وخط سيرها:

فيما يخص توقيت الرِّحلة فلم يحدِّد المؤرِّخون زمنها بشكلٍ دقيق، لكن من خلال قراءة مضمونها يُلاحظ بأنَّ سايلوف قد ذكر فيها اسم الملك بلدوين

[1] إبراهيم(عبد العزيز عبد الغني): روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2013م، ج1، ص52، 56.

[2] سعيد(إدوارد): الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995م، ص46.

الأوَّل[1]، وريموند كونت تولوز[2]، وأوردهما معاً خلال ذكر ترحاله في أنحاء مملكة بيت المقدس الصَّليبيَّة، وبناءً عليه فإنَّ رحلته جرت في الأعوام الأولى من القرن الثاني عشر الميلادي؛ لأنَّ بلدوين الأول توِّج ملكاً على المملكة في سنة (494هـ/ 1100م)[3]،

---

[1] بلدوين الأول: أمير صليبي قدم من الغرب الأوروبِّي بصحبة أخويه جودفردي البولوني وأستاس البولوني، و شارك في الحملة الصَّليبية الأولى، أسَّس كونتية الرَّها، وخلف أخيه جودفري في حكم مملكة بيت المقدس، وبقي فيها حتى وفاته سنة(512هـ/ 1118م). الشارتري(فوشيه): تاريخ الحملة إلى القدس(1095- 1127م)، تر: زياد العسلي ، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1990م، ص173؛ إمام(هنادي السيد محمود): مملكة بيت المقدس في عهد الملك بلدوين الأول (494- 512هـ/ 1100- 118م)، تقديم: محمد مؤنس عوض، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م، ص35- 37.

[2] ريموند الصنجيلي: هو أحد قادة الحملة الصَّليبية الأولى، ولد حوالي سنة(432هـ/ 1041م)، وهو الابن الثاني لبونز الثاني كونت تولوز، والموديز دو لامارش (Almodis de la Marche)، شارك ريموند في الحملة الصَّليبية الأولى، وقد تولَّى كونتية طرابلس سنة(496هـ/ 1102م)، وظل حاكما لها حتى وفاته سنة(499هـ/ 1105م). عوض (محمد مؤنس): معجم أعلام الحروب الصليبية، مكتبة الآداب القاهرة، 2015م، ص405، 406.

[3] خبر تتويج بلدوين ملكاً على بيت المقدس عند: العظيمي (محمد بن علي): تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م، ص360؛ ابن القلانسي(حمزة): ذيل تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1983م، ص138؛ابن الأثير(علي بن أبي الكرم): الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف العقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003م، ج10، ص324؛ النويري(أحمد بن عبد الوهّاب): نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد ضياء الريس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3،

وتوفي ريموند في سنة (499هـ/ 1105م)[1].

ومن جهة أخرى فإنَّ سايلوف ذكر بعض المواقع على ساحل الشَّام التي لا تزال في أيدي العرب المسلمين، ولكنَّه ذكر بالمقابل بعض المدن التي سقطت في قبضة الصليبيين مثل طرسوس التي استولى عليها ريموند في شهر مارس سنة (496هـ/ 1102م)[2]، أمَّا عكَّا[3] فكانت خاضعة للسيطرة العربيَّة الإسلاميَّة ولم يستولي عليها الصَّليبيون إلَّا سنة (498هـ/

2007م، ج28، ص260؛ الذهبي(محمد بن أحمد): دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت،1999م، ج2، ص24.

[1] خبر هلاك ريموند الصنجيلي عند: العظيمي: تاريخ حلب، ص362؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص147؛ أبو الفداء(إسماعيل بن علي): المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم، محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1999م، ج2، ص221؛ الدويهي(إسطفان): تاريخ الأزمنة، تح: بطرس فهد، دار لحد خاطر، لبنان، ط1، 1900م، ص87.

[2] خبر سيطرة الصَّليبيين على طرسوس عند: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص140، 141؛ الذهبي(محمد بن أحمد): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1998م ، ج34، ص48، 49؛ ابن الحريري(أحمد بن علي): الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، دار الملاح، دمشق، ط1، 1981م، ص14.

[3] عكَّا تقعُ على ساحلِ بحرِ الشام من عمل الأُردن. القزويني(زكريا بن محمد): آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادق، بيروت، 1960م، ص223؛ ابن سعيد المغربي(علي بن موسى): الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م، ص150.

1104م)[1]، وتفسير ذلك أنَّ رحلته كانت بعد عام (495هـ/ 1101م)، وقبل سنة(498هـ/ 1104م)، أي ما بين (496- 497هـ/ 1102- 1103م)[2].

إذاً بدأ سايلوف رحلته سنة (496هـ/ 1102م) متوجِّهاً إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين، و بدأ مشواره المليء بالمتاعب والصِّعاب منطلقاً في شهر تموز/ يوليو (496هـ/ 1102م) من ميناء مونوبولي جنوبي إيطاليا على البحر الأدرياتيكي، وبعد أنْ عانى كثيراً من الصُّعوبات أثناء إبحاره وصل إلى ميناء برنديزي، وبعد استراحة لمْ تطل أكثر من أربعة ساعات غادر الميناء المذكور متوجِّهاً إلى ميناء كوروفو في بلاد اليونان، ومن ثمَّ قضى وقتاً قصيراً في ذلك الميناء تخلَّله تناول الطَّعام والنَّوم لمدَّة وجيزة حسبما ذكر سايلوف، إذ قال: « وفي كورفو اليونانيَّة بقينا مدَّة وجيزة تناولنا فيها قليلاً من الطعام الذي اصطحبناه معنا، ونمنا لبعض الوقت لنأخذ قسطاً من الرَّاحة بعد أن تعرضَّنا لمتاعبٍ جمَّة».

ثمَّ بعدها انطلقت الرِّحلة من جديد إلى جزيرة كيفالونيا اليونانيَّة، وفيها مات أحد رفاق الرِّحلة الَّذِّين كانوا برفقة سايلوف، وقد عبَّر سايلوف عن ذلك بقوله: « وبينما وصلنا كيفالونيا في بلاد اليونان مرِض أحد رفاقنا، ولم

[1] خبر سيطرة الصَّليبيين على عكَّا عند: العظيمي: تاريخ حلب، ص362؛ ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص144؛ ابن ظافر الأزدي (علي بن الحسين): أخبار الدول المنقطعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص87؛ الذهبي(محمد بن أحمد): العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1985م، ج3، ص345.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص 21، 25، عوض: الرحَّالة الأوربيون، ص42

نستطع أنْ ننقذه، ففارق الحياة دون أنْ يُحقِّق حلمه في الوصول إلى أراضي الأجداد».

وبعدها انطلقت الرِّحلة من جديد إلى جزيرة باتراس[1]، ومنها إلى مدينة كورنثوس، وبعد مخاطرٍ جمَّة وصلت إلى جزيرة قبرص، وقد عبَّر سايلوف عن ذلك بقوله: « وبعد أنْ فقدنا أحد رفاقنا الأعزَّاء توجَّهنا إلى جزيرة باتراس، ولمْ نقضي فيها أي وقتٍ، فانطلقنا على الفور باتِّجاه مدينة تُدعى كورنثوس، وفي عرض البحر تعرضَّنا لمخاطرٍ جمَّة، إذْ خرج علينا الكثير من قراصنة البحر الَّذِّين أرادوا أنْ يسلبونا أمتعتنا ومُقتَنياتنا، ولكن بفضل الرَّب تمكَّنَّا من الوصول إلى جزيرة قبرص».

وبعد أن توقَّفت الرِّحلة لمدّة يومين في جزيرة قبرص حسبما ذكر سايلوف، انطلقت في اليوم الثالث باتِّجاه الأراضي المقدَّسة في فلسطين، وقد وصلت السَّفينة التي تقل الرِّفاق البحَّارة ومنهم سايلوف إلى ميناء يافا[2] في شهر أكتوبر سنة (496هـ/ 1102م).

وبناءً على ما ذكر سايلوف في خط سير رحلته، وبتتبُّع الأيام التي قضاها في جزر وموانئ البحر انطلاقاً من جنوب إيطاليا وصولاً إلى يافا في

---

[1] تقعُ على شاطئ آسيا الصغرى غرب جزيرة رودس. سعيد(حبيب): سيرة بولس الرسول، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م، ص ١٧٠ .

[2] يافا إحدى المدن الكنعانية العربية القديمة، واسمها تحريف للكلمة يافي(Yafi)الكنعانية بمعنى جميل، وتقع المدينة القديمة على التلة القائمة على ميناء يافا. الدباغ(مصطفى مراد): بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت، ط1، ١٩٧٢م، ج4، ص ٩٧، ٩٨؛ جونز: مدن بلاد الشام، تر: إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط1، ١٩٨٧م، ص ٩٥.

فلسطين، تكون الرحلة قد استغرقت ما يقارب ثلاثة عشر أسبوعاً، وقد عبَّر سايلوف عن وصوله إلى ميناء يافا بقوله: « حينما وصلت سفينتنا إلى مشارف مدينة يافا توقَّفنا على مسافة من الشَّاطئ وهناك قال لي أحد رفاقي: سيِّدي، اذهبْ إلى الشَّاطئ اليوم كي لا تهبّ عاصفة في الليل، ممَّا يجعل من المُستحيل النُّزول غداً»[1].

وبناءً على تلك النَّصيحة استأجر سايلوف ورفاقه قارباً، وركبوا فيه جميعاً، ولكن قبل أنْ يصلَ إلى الشَّاطئ، كان البحر مضطَّرباً، وازداد اضطرابه، ولكنَّه هبط ورفاقه بسلامٍ، ودخلوا المدينة مُرهقين جائعين وعثروا على مسكنٍ ينامون فيه تلك الليلة.

وفي الصباح وبينما كانوا عائدين من الكنيسة سمعوا هدير البحر، وصراخ النَّاس، ورأوا الأمواج أعلى من الجبال، وجُثثاً لا حصرَ لها قذفتها الأمواج إلى الشَّاطئ، بينما كانت شظايا السُّفن تطفو في كلِّ مكانٍ، وقد عبَّر سايلوف عن وصف تلك الكارثة بقوله: « أسفرت العاصفة التي نجينا منها بفضل الرَّب يسوع عن تحطُّم كثيراً من السُّفن بلغت عددها ما يقارب الثَّلاثين سفينة، ومنها القارب الذي ركبناه، وغرق في البحر أكثر من ألف رجل وامرأة معظمهم من الحُجَّاج»[2].

وعلى ما يبدو أنَّ سايلوف حرصَ على ايراد ما لاقه في طريقه من صِعاب إلى أنْ وصل إلى تلك البقاع المقدَّسة، وذلك من أجل أن يوضِّح لمعاصريه – واللاحقين من بعده – مدى إيمانه وورعه وتقواه التي دفعته إلى مواجهة كافَّة تلك الصُّور من المشقَّة والهلاك من أجل زيارة الأماكن

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص22؛ عوض: الرحالة الأوربيون، ص43.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص22.

المرتبطة بذكريات المسيحيَّة المُبكِّرة، ومن المُحتمل أنَّه لجأ إلى المُبالغة أحياناً في تصوير تلك الصِّعاب ليظهر أمام الآخرين في صورةٍ بطوليَّة.

وبعد أن قضى سايلوف أياماً عدّة في مدينة يافا انتقل ورفاقه الحُجَّاج إلى مدينة بيت المقدس، ومنها إلى المدن الأخرى في فلسطين والتي رغب منذ البداية بزيارتها حسبما ذكر في ثنايا رحلته[1].

وبالنسبة لتاريخ عودته إلى الغرب الأوروبيِّ، وتاريخ وفاته فهُما غير معروفين على وجه التَّحديد، ولمْ تردَ أيَّةَ إشارةٍ إلى ذلك في رحلته وفي المصادر التي تناولته بالذكرِ.

د- **مضمون الرِّحلة ولغتها:**

عرضَ سايلوف سيرة رحلته في بلاد الشَّام(الأراضي المُقدَّسة في فلسطين)، في مؤلف بعنوان" وصف الأراضي المقدسة" Descriptio (Terraes Sanctae)[2].

وتُعدُّ رحلتهُ رحلةً صغيرة في عددِ أوراقها قياساً إلى رحلات الآخرين من أبناء جَلدته، وتتقاطع معها بأنَّها ربطت بين الأماكن المُقدَّسة، وتاريخها الوارد في الكتاب المُقدَّس، فكانت عاطفتها الدينية قويَّة جيَّاشة، وفي ثنايا هذه الرِّحلة، قدَّم سايلوف صُورة للعرب المسلمين، وإنْ كانت قليلة، لكنَّها تكشفُ عن الخلفيَّة العدائيَّة التي يكنُّها لهم، وعن تحاملهِ عليهُم، إضافةً لذلك اهتمَّ سايلوف بذكر وبيان المواقع الجغرافية في الأراضي المقدسة في فلسطين، وذلك بذكر المدن بدءاً من مدينة يافا وحتى وصوله إلى منابع نهر الأردن،

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص43.

[2] عبد الله(جوزف): منتخبات التواريخ والأثار مما خلفه الرحالة الغربيون حول عكار والجوار، مكتبة السائح، طرابلس- لبنان، 2010م، ص9.

إذ تناول في رحلته أوصاف المدن، وما احتوته من كنائس وأديرة، إضافةً إلى ذكره الأسواق التجارية، وتأريخ بعض الحوادث التَّاريخيَّة فيما يتعلق بالجانب العسكري، وخاصة تناوله مقاومة الفاطميين للصليبيين[1].

وفيما يخص لغة الرِّحلة فقد كتبَ سايلوف رحلته باللغة اللاتينيَّة الوسيطة، ثمَّ قام بوصف الأرض المُقدَّسة بوساطة خطوط تقسيم كثيرة انطلاقاً من ميناء يافا وحتى منابع نهر الأردن، وهذه خطَّةٌ لمْ تكن مُجدية تماماً في التَّوضيح والتَّحديد لكنَّها نُقِلتْ مع أشياءٍ كثيرة[2] من قبل مارينو سانوتو، كما فعل سانوتو[3] عندما دوَّن كثيراً من معلومات رحلة الألماني بورشارد دي مون سيون[4].

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المُقدَّسة، مُقدِّمة الرِّحلة، ص7.

[2] زكار(سهيل): الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999م، ج37، ص138- 140.

[3] سانوتو(مارينو): الأسرار، تح: سمر الخادم و بلليغرينو رونكاليا، دار الريحاني، بيروت، ط1، 1991م، ص 45، 67، 99، 233، 267، وغيرها.

[4] الرحالة الألماني بوركهارد(بورشارد)، اقترن اسمه بجبل صهيون، بسبب إقامته في الدِّير الواقع على هذا الجبل لمدّة عشرة سنوات أو اكثر ما بين عامي (673- 683هـ/ 1274-1284م)، لذلك أُطلق عليه بورشارد من جبل صهيون- دي مون سيون، وقد دوَّن رحلته إلى الأراضي المقدسة في بلاد الشام في كتابٍ سمَّاه " وصف الأرض المقدسة". بورشارد: وصف الأرض المقدسة، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1995م، ص16، 17؛ البيشاوي(سعيد): الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م، ص49؛ نعيرات(أسامة): اقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي، مؤسسة الأسوار، عكا، فلسطين، ط1، 2002م، ص38؛ عبد الله: منتخبات التواريخ، ص9.

هـ- منهج الرحلة:

إنَّ القارئ لمضمون الرِّحلة يُمكنه مُلاحظة المنهج الَّذي اتَّبعه الرحَّالة سايلوف في تدوين رحلته، فمنهجهُ الوصفي لا يقوم على مُشاهداتهِ فحسب إنَّما على أسئلة بعض السُكَّان والاستفسار منهم عن بعض المواقعِ والمدن، وأشارَ سايلوف إلى ذلك في بداية رحلته، فقال: « لقد دوَّنتُ بدقَّة الأجوبة التي قُدِّمَت إليَّ من قبلِ السكان عن بعض المناطق التي لم أتمكن من زيارتها البلاد»[1].

وقام منهجُ سايلوف على الاعتناء ببيان المواقع الجُغرافيَّة، وذكر المعالم الأثرية وتقديمُ وصفاً مُتكاملاً للطرق والمسالك البريَّة التي عبرَهَا، والحديث عن كلِّ مدينة حلَّ بها من حيثُ السُكَّان ومُعاملة أهلها، وذكر الأبنية ولا سيما الكنائس والأديرة[2]، واعتمدَ سايلوف أسلوبُ الاستطراد في الحديث عن أيِّ بلدٍ ذكرهُ، ومثالها حديثه عن القدس، وأبوابها، وكنائسها، وما جاورها من الجبال، والوديان، والينابيع[3].

و- أهمِّية الرِّحلة:

تكمُن أهمِّيَّة رحلته كونَهُ ضمَّنها تفاصيلٌ لجميع مظاهر الحياة الاجتماعيَّة، والاقتصاديَّة، والعمرانيَّة، والسِّياسيَّة في الأراضي المقدَّسة في فلسطين، وتحتل رحلته مكانة خاصَّة بين الرِّحلات الأوروبيَّة، لاعتبارات عدّة منها: كون زيارته للأراضي المقدَّسة في فلسطين جاءت في بداية الاستقرار الصَّليبي في الأرض المقدَّسة، والاستيلاء على بيت المقدس، وقد ذكر

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص14، 15.

[2] مثالها: سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص36، 45، 64، وغيرها.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، 41- 47.

الرحالة أنَّه وصل مدينة يافا في شهر أكتوبر سنة (496هـ/ 1102م)، وبناءً على ذلك يكون قد مضى على استقرار الصليبين في فلسطين نحو ثلاث سنوات وثمانية أشهر[1].

إضافة إلى أنَّها ألقت الضوء بصورة واضحة ومهمَّة عن الصَّراع العربي الإسلامي – الصَّليبي خلال ذلك العهد المُبكِّر، كما أوضحت الصِّعاب التي واجهت بعض الحجَّاج من أجل الوصول إلى الأماكن المقدَّسة لدى جموع المسيحيين، وفضلاً عن ذلك احتوت الرِّحلة على تناول مهم لمظاهر التَّدمير والتَّخريب اللذين حلَّا بالعديد من المدن في الأراضي المقدَّسة في فلسطين على نحوٍ خاصٍّ، مع بدايات الاحتلال الصَّليبي[2].

2- الرحَّالة الألماني ثيودوريش(557-559 هـ/1161- 1164 م):

أ- التعريف بالرَّحَّالة:

رحَّالة ألماني لم يُعرف عنه سوى اسمه الأوَّل، أمَّا اسمَ عائلته فهو مجهولٌ، و ثيودوريش مسيحي مُتعصب عملَ أسقفاً في مدينة فورزبورغ[3]

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المُقدَّسة، مُقدِّمة الرِّحلة، ص5؛ حمودي(إمام الشافعي): الرؤى والأحلام المقدسة – عصر الحروب الصليبية، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط1، 2019م، ص77.

[2] عوض: الرحالة الأوربيون، ص42.

[3] مدينة ألمانية تقع في جنوب غرب ألمانيا إلى الشمال من بافاريا على نهر المين، تبعد حوالي 100 كم عن مدينة فرانكفورت.

Meisner. M; Hajm, VVurzburg. VVurzburg, 1975. p 113.

Amer. A: Ency VVurzburg, Vol. XX, New Jsrsy, 1981, p. 297.

Amer. E: VVurzburg, Vol, XXXIX, U .S. A, 1985, p. 568. ; Brit. E: VVurzburg, Vol. XXIIV, U. S. A, 1958, p 818, 819.

الألمانية[1]، وتميَّز بدرجة عالية من التديُّن مع ثقافة دينيَّة رفيعة، وقد زارَ بلاد الشام خلال المدَّة الواقعة بين سنة(557-559هـ/1161-1164م)، قدَّم خلالها وصفاً لما شاهده، فتناول بالوصف بيت المقدس، والخليل، والجليل، وبيت لحم، وغزة، ويافا، وغيرها، مُقدِّماً تفاصيل دقيقة عن الأماكن المسيحيَّة المقدَّسة في فلسطين، مع الربط بين هذه الأماكن، وبُعدها التاريخي من الناحية الدينيَّة فقط[2].

ب- دوافع الرحلة:

تكمُن برغبته في نقلِ تجرُبته ومشاعره الدينيَّة عقب زيارة الأماكن المُرتبطة بالمسيح وآلامه إلى أولئك الَّذين لم يتمكَّنوا من زيارتها، وتجلَّى ذلك بقوله: « ويحدوني الأمل أن تُثير عقول أولئك الَّذين يقرؤونها أو يسمعونها من أجل محبته من خلال تعرُّفهم عن الأماكن التي تمَّ وصفُها».

ويتضح من قوله أنَّ هدفه التحريض على العرب المسلمين، وبذلك فإنَّ رحلته جزءاً من حرب الدعاية الإعلاميَّة لترويج هدف الحروب الصليبيَّة، وممَّا يدلُّ على ذلك أنَّ التدوين النهائي للرحلة تمَّ بعد عودة ثيودوريش إلى ألمانيا، وذلك بعد استعادة العرب المسلمين بيت المقدس والانتصار في معركة حطين سنة(583هـ/1187م)، إذ صنَّفها باسم(holy land description of the)، ممّا دفعَ رجال الدِّين إلى تنشيط حركتهم الإعلامية

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و رياض شاهين، دار الشروق، رام الله- فلسطين، ط1، 2003م، ص11؛ عوض: الرحالة الأوربيون، ص180.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص14؛ ذكرَ محمد مؤنس عوض أنَّ الرحلة تمَّت نحو(1171- 1173م). عوض: الرحالة الأوربيون، ص181.

داخل أوربة، لإقناع الناس وحثِّهم على زيارة بيت المقدَّس، وبذلك يكون هذا الكتاب من مظاهر الدعاية الدينيَّة التي رعتها الكنيسة، لحثِّ الناس على المُشاركة في تخليص بيت المقدس من أيدي المسلمين[1].

وبعد أن دوَّن ثيودوريش رحلته تفرغ للعمل الكنسي والعبادة، إذ عُين أسقفاً لكنيسة فورزبورغ سنة(586هـ/1190م)، وهذا ما وجِدَ مُدوناً في قائمة أساقفة كنيسة ميونخ الكاتدرائية، واحتفظ بمنصبه لمُدِّة سنة وشهرين وأربعة عشر يوماً أيّ حتَّى(588هـ/ 1192م)، وهو العام الذي وافته فيه المنيَّة[2].

ثانياً- أدب الرحلات الأجنبية ودوره في الحروب الصَّليبيَّة:

كما هو معروف أنَّ الحملاتُ الصليبيَّة انطلقت إلى المشرقِ العربيِّ والإسلامي لاحتلالَهُ بدافع ديني واهٍ[3]، وبدافع اقتصادي وعسكري بحت، وكان ذلك مع بدايات القرن (5هـ/ 11م)، و كانَ لأدب الرِّحلات أهمِّيَّة كُبرى في الترويج وتشجيع الحروب الصليبية[4]، إذ كَثُرَ عددَ الحُجَّاج والرحالة الأجانب إلى المشرق العربي والإسلامي عقب سُقوط القُدس بيت الصَّليبيين، وتأسيس مملكة بيت المقدس الصَّليبيَّة[5]، إذ أصبحت حماسة

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص19، 184.

[2] الورزبرجي(يوحنا): وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشيماء، رام الله- فلسطين، ط1، 2011م، ص13.

[3] الشارتري: تاريخ الحملة إلى القدس، ص31.

[4] بالار(ميشيل): الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، تر: بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2003م، ص35.

[5] بالار: الحملات الصليبية، ص35.

الرَّحَّالة والحُجَّاج الأوربيين للارتحال إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين أكبر وأشمل مما كانت عليه قبل سقوط القدس بيد الصَّليبيين[1].

ومن الأهمية بمكان القول: إنَّه ساد خلال تلك الفترة نوعان من أدب الرّحلات، الأوَّل اهتمَّ بالحديث عن الإنسان وسكَّان الأراضي المقدَّسة في فلسطين وقدَّموا عنه صورة مزيَّفة حسبما ذكرت شروحاتهم الكنسيَّة، في حين اهتمَّ النَّوع الثاني بتقديم صورة عن الإنسان المشرقي من خلال الأساطير التي رسموها في خيالهم[2].

ويكاد يتطابق هذان النَّوعان من الرّحلات؛ لأنَّ الهدف واحد ألا وهو تجسيد الوعي الغربي عند المسيحيين، وتصوير الإنسان المشرقي والمسلم بصورة نمَّت عن عقلية غربيَّة وأوربيَّة لا تكنّ إلَّا كلَّ حقدٍ بدافع الاحتلال والسيطرة والجشع[3]، وبناءً عليه فإنَّ هؤلاء الرحالة تجاهلوا الوجود العربي الإسلامي في الأراضي المُقدَّسة في فلسطين من حيث ذكر جوانبهم الحضارية في حين ركَّزوا على ذكر صفات ونعوت وسَمُوا فيها العرب المسلمين، وهي صفاتٌ سلبيَّة تدلّ على العقليَّة والذِّهنيَّة الأوروبيَّة التي كانت مركزة على هدف واحد هو الدِّعاية للحروب الصَّليبيَّة.

ومن هنا فإنَّ ما وسِمَ به العرب المسلمين لا يتعدَّى سوى نعوت وصفات سلبية ارتأها رحَّالة الغرب الأوروبي فكانتْ بحقٍّ تجسيداً للوعي المسيحيِّ الغربيِّ، وللصُورة النمطيَّة المغروسة في أذهانهم عن الأماكن

---

[1] سميث(جوناثان رايلي): حال الصليبيين الذهنية تجاه الشرق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2007م، ص125.

[2] إبراهيم: روايات غربية، ج1، ص58.

[3] سعيد: الاستشراق، ص46.

المُقدَّسة، وعن المسلمين المُغتصبينَ لها حسبُ أفكارهُم، ولإدراك رحالة الغرب الأوروبي أنَّ الَّذين يَكتبونَ عنهم(أي العرب المسلمين) لا يقرأونَ كتاباتهم فقد دخل رحلاتهم شيءٌ قليل أو كثير من الزيف المُتعمَّد، ولذا فإنَّ كلَّ ما قدَّمه أيُّ رحَّالة غربي لا يزيدُ على كونهِ رُؤية لظاهرة عربيَّة إسلاميَّة بعيون غربيَّة، استمرأتْ النَّظر بدونيَّة إلى المُجتمع العربيِّ الإسلاميِّ، أمَّا المضمونَ الأخلاقي نجده في مروياتِهم حينَ يعملون على تحليل ما شاهدوه، ففيه اختلافٌ وتشاجر، وهو إفرازٌ عن ذهنية غربية تختلفُ ثقافتها تماماً عن ذهنيّة ثقافات مُجتمعنا العربي.

تلك الذّهنيَّة التي دفعت كل من ارتحل إلى المشرق العربي والإسلامي النَّظر بدونيَّة لكلِّ المنجزات الحضاريَّة التي أبدعها الإنسان العربي المسلم، وهذه الذِّهنيَّة لمْ تقف عند هذا الحدُّ، بل صوَّرت سكَّان الشرق بأنَّهم أسوأ الشُّعوب، إذ تمَّ اتّهامهم زوراً وبُهتاناً بصفاتٍ هُم بُرَاءة منها، وكان الهدف من ذلك إظهارهم بمظهر الإنسان المُتخلِّف الذي لا يستحق امتلاك الأراضي المقدَّسة، وخاصَّة منها المُرتبطة بذكريات المسيح عليه السلام، وآلامه، ولعلَّ من أبرز الصِّفات والنُّعوت السَّلبيَّة التي وسِمَ بها العرب المسلمين، كما ورد في نصَّي رحلة كلٍّ من الرحالة الإنكليزي سايلوف(496- 497هـ/ 1102- 1103م)، والرحَّالة الألماني ثيودوريش(557- 559هـ /1161- 1164م)، ما يلي:

1- معتدون[1] وهمجيون[2]:

اتَّسمت الرَّحلات الأجنبيَّة بمجملها بنعت العرب المُسلمين بصفة الاعتداء والهمجيَّة، ولعلَّ أنَّ الصفة السَّلبيَّة التي أطلقها هؤلاء الرَّحَّالة الأجانب على العرب المسلمين كان القصد منها إثارة الأحقاد، وتشجيع الحروب الصليبيَّة، فالرَّحَّالة الإنكليزي سايلوف هو أحدُ أولئك الَّذين كرَّر في رحلته صفة الاعتداء والهمجية، فصور المسلمين على أنَّهم أعداء الحضارة وتملكهم رغبة جامحة في القتل والتدمير والهمجية، وقد جاء ورود هذه الصفة

---

[1] لعلَّ من أكثر الرَّحّالة الأجانب الَّذين نعتوا المسلمين بهذه الصِّفة هو الرَّحَّالة الرُّوسي إيغومن دانيال الرَّاهب الذي رحل إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين خلال الفترة(501- 502هـ/ 1107- 1108م)، ودون مشاهداته في كتاب سمَّاه" وصف الأرض المقدسة في فلسطين". الراهب(دانيال): وصف الأرض المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و داود أبو هدبة، دار الشروق، عمَّان، ط1، 1992م، 7 ؛ سترانج(لي): فلسطين في العهد الإسلامي، تر: محمود عمايري، جمعية المطابع التعاونية، عمان، ط1، ١٩٧٠م، ص٦٩، ٧٠؛ البيشاوي(سعيد): نابلس - الأوضاع السياسية والاجتماعيَّة والثَّقافيَّة والاقتصاديَّة في عصر الحروب الصليبية، عمان، ط1 ، ١٩٩١م ، ص55. وكذلك الرَّحَّالة الألماني بتاحيا الرَّاتسبوني الذي رحل إلى الأراضي المُقدَّسة في فلسطين سنة (614هـ/ 1217م)، ودوَّن مشاهداته في كتاب سمّاه" رحلة بتاحيا الراتسبوني". الراتسبوني(بتاحيا): رحلة بتاحيا، دار الكتاب الثقافي، تر: فؤاد عبد الرحيم الدويكات، عمان، د.ت، ص13.

[2] لعل من أبرز الرحالة الأجانب الذين صوَّروا المسلمين على أنَّهم معتدين هو الرَّحَّالة الألماني يوحنا فورزبورغ والذي رحل إلى الأراضي المقدسة في فلسطين سنة (621هـ/ 1223م)، ودون مشاهداته عمَّا رآه فيها ووصفه في كتاب سمَّاه" وصف الأراضي المقدسة في فلسطين. الورزبرجي: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص21.

في رحلته في معرض حديثه عن المدن التي زارها ومن الأمثلة عن ذلك قوله عن مدينة بيت لحم: « وكانت بيت لحم مدينة جميلة، لكنَّ المسلمين لم يتركوا شيئاً يمكن السَّكن به، ولكنَّهم دمَّروا كلّ شيءٍ، كما حدث في جميع الأماكن المُقدَّسة الأخرى خارج أسوار بيت المقدس»[1].

ومن الأمثلة التي أوردها سايلوف أيضاً واتَّسمت بوصفه المسلمين بالتَّدمير ذكره أن مدينة الخليل كانت جميلة وعظيمة، لكن المسلمين دمَّروا كل شيء فيها، إذ قال: « ومدينة الخليل كانت عظيمة وجميلة، ولكنَّها الآن مدمرة من قبل المسلمين»[2].

كذلك برزت هذه الصّفة عند حديثه عن مدينة النَّاصرة، إذ أشار إلى أنَّ المسلمين هم من قاموا بتدمير وتخريب المدينة، وعبَّر عن ذلك بقوله: « وقد دمَّر المسلمون النَّاصرة»[3].

وحقيقة الأمر لا نستطيع أن نؤيِّد رؤية سايلوف بأنَّ الدَّمار والخراب[4] الذي حلَّ بالمدن المذكورة يقع على عاتق المسلمين، ومن الممكن

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص34.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص42.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص43.

[4] ومن الأمثلة ما ذكرهَ الرحَّالة فون سوخم بأنَّ المُسلمين قاموا بقطعِ جميع أنواعِ الكروم و الفاكهة حولَ عكَّا عند مُحاصرتهم لها، وشعَّثوا جميع الحدائقِ والبساتين المُحدقة بها، وهجموا المدينة لمُدَّة أربعين يوماً دون توقف بالنار والحجارة والسهام، وقاموا بإحراق المدينة القائمة بين الأسوار كلِّهَا، ودمَّروا جميع الأسوارِ والأبراج والقصور، كما أنَّهم قاموا بتدمير مُدن جبل الكرمل بعدَ أنْ كانت فيما مضَى جميلةٌ، وقاموا بتدمير قيساريَّة كلياً، كما قامَ السلطان المملوكي بتدمير مرسى مدينة يافا؛ خوفاً من ملك فرنسا، ثمَّ قاموا بتدميرِ مدينة صيدا بشكلٍ كامل. سوخم(فون): وصف الأرض المقدَّسة، وقع ضمن

أنْ نتصوَّر أنَّ مثل ذلك الخراب – إنْ وجِدَ – كان نتيجة طبيعيَّة للصراع العربي الإسلامي– الصليبي، وليس من المنطق تحميل المسلمين مسؤولية تخريب تلك المدن بالصورة التي ذكرها سايلوف، وخاصةً إذ علمنا أنَّ مدن السَّاحل قد نالت قسطاً من الخراب بسبب العمليات الحربيَّة والمقاومة العربيَّة الإسلاميَّة لموجة الغزو الصَّليبي[1].

وقد أكَّد المؤرِّخ العظيمي[2] أنَّ الصَّليبين قاموا بتعمير بعض مدن السَّاحل الشَّامي بعد الخراب الذي حلَّ بها – وهنا يُقصد بالتعمير إقامة القلاع والحصون، أمَّا ما يخص المُدن الداخلية التي أشار إليها سايلوف فإنَّنا لا نجد ما يدعم اتِّهامه للعرب المسلمين بأنَّهم يتحمَّلون مسؤولية ذلك.

كما برزت صفة الهمجيَّة في الرَّحلة الإنكليزيَّة لسايلوف عندما قدَّم صورة عن قيام طغكتين[3] بقتل جيرفاس الصَّليبي[1] إذ قدَّم في رحلته

الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تر: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1999م، ص302، 307، 308.

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص45.

[2] العظيمي: تاريخ حلب، ص362.

[3] الأمير أبو منصور ظاهر الدِّين طغتكين المشهور باسم طغتكين أتابك، هو أتابكٌ وقائدٌ عسكريٌّ، ومؤسِّس حكومة البوريين الذِّين حكموا دمشق ضمن الدولة السَّلجوقيَّة، وكان من أمراء تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان الذي زوجه بأمِّ ولده دقاق، وكان مع تاج الدولة لما سار إلى الري لقتال ابن أخيه بركياروق، فلما قُتِل تاج الدولة رجع طغتكين إلى دمشق وباشر وظيفته أتابكاً لدقاق، فلما مات دقاق سنة(497هـ/ 1104م) ملك دمشق خمس وثلاثين سنة مؤسساً حكومة البوريين التي امتدت احدى وخمسين سنة، (ت 522هـ/ 1128م). العظيمي: تاريخ حلب، ص 381؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ،

معلومات احتوت كثيراً من المبالغات، وبدا فيها عُنصريَّاً مُتعصِّباً ضدّهم إذ نعتهم بالهمجية، وقصد من ذلك تحقيرهم وإهانتهم، وقد ساقَ سايلوف رواية ذكر أنَّها تبرِّر وصفه للمسلمين بتلك الصفة، وتجلَّت هذه الصُّورة بذكره حادثة مقتل القائد الصليبي جرفاس بوسوك على يد أمير دمشق طغكتين بعد أنْ وقعَ جرفاس في الأسر، فقال: « انساقَ طغتكين وراء شهوات نفسه،

ج10، ص652؛ ابن واصل(محمد بن سالم): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: حسين محمد ربيع، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1957م، ج2، ص105؛ ابن خلكان(أحمد بن محمد): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م، ج2، ص423؛ الذهبي(محمد بن أحمد):الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى بن علي عوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1993م، ص214؛ ابن الوردي(عمر بن المظفر): تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م، ج2، ص34؛ الصفدي(خليل بن أيبك): الوافي بالوفيات، اعتناء: رمضان عبد التواب، دار فرانز شتاينر، فيسبادن، 1985م، ج16، ص451؛ الصفدي(خليل بن أيبك): أُمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1983م، ص45؛ الكتبي(محمد بن شاكر): عيون التواريخ، تح: نبيلة عبد المنعم داوود، فيصل السامر، دار الحرية، بغداد، ط1، 1984م، ج12، ص198، 199؛ الخزرجي(علي بن الحسن): العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، دار الآداب، ط2، بيروت،1983م، ج1، ص29.

[1] جيرفاس: هو جيرفاس دي بازوش(Gervase de Bazoches)، الابن الثاني لميلو(Milo) سيد بازوش في مقاطعة سواسون(Soissons) وقد تمَّ تعيينه حاكماً على طبرية من جانب الملك بلدوين الأول كخليفة لهجيو دي فوجومبر(Hugh de Fauguembergues)، وبقي فيها حتى مقتله على يد طغكتين. عوض: معجم أعلام الحروب الصليبية، ص397.

وشرب حتَّى الثمالة، ثمَّ قامَ بقطع رأسه، وبذلك قدَّمه شهيداً من أجل الربِّ، وفي اليوم التالي حيثُ سكنتْ نفسه، كانَ ممتلئاً بالعار والغيظ، لأنَّه قتل رجلاً بجنون، ودفنه بدون رأس، حيثُ احتفظَ به، وزيَّنه بالذهب والأحجار الكريمة، وأبقاه تُحفة لكي يشربَ بها»[1].

وحقيقة الأمر أنَّ الصُورة التي أتى بها سايلوف كان الهدف منها إثارة العواطف، ونبش الأحقاد، بكل ما فيها من انفعالات عاطفيَّة، إضافةً إلى تقديم صورة وحشيَّة عن هذا القائد الإسلامي، الذي كان يُمثِّل المسلمين في الشَّام في عهده، وروايته هنا تتسم بالحقد، وعدم الموضوعية، والذي حدث أنَّ جرفاس قد خرج بقواته في الثامن والعشرين من رمضان– العاشر من حزيران (501هـ/ 1108م) لصدِّ غارة إسلاميَّة على طبرية، وقد تمكَّنت القوات الإسلاميَّة من اقتياده أسيراً إلى دمشق[2]، ونظراً لعلو شأن الأمير الصليبي، فقد أرادت أتابكيَّة دمشق أن تتخذه ورقة رابحة للمساومة السيَّاسيَّة مع مملكة بيت المقدس.

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص86.

[2] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص161؛ العظيمي: تاريخ حلب، ص264؛ ابن الحريري: الإعلام والتبيين، ص17؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج35، ص9؛ الذهبي: دول الإسلام، ج2، ص30.

وقد عرض طغتكين أن يُسلِّم جيرفاس للصليبين في مقابل انسحابهم من طبرية وعكا وحيفا[1]، ونظراً للأهمِّية الاستراتيجية لكافَّة تلك المناطق التي بذل الصَّليبيين جهدهم الجهيد من أجل اخضاعها ضمن سياستهم حيال السَّاحل الشَّامي بصفة عامَّة، فقد رفض الملك الصليبي بلدوين ذلك العرض، لذلك قام طغتكين بإعدام ذلك الأمير الصليبي[2].

وقد جاء رفض مملكة بيت المقدس الصَّليبية ايذاناً بفشل محاولة أتابكية دمشق استثمار ذلك الأسير النَّبيل لصالحها، وعندما أيقنَ طغتكين أنَّه لن يربح من ورائه أيَّة مكاسب سياسيَّة تدعم مركزه أمام رعاياه وتقوي أتابكيته في خضم الصراع الإسلامي – الصليبي، أمرَ بقتله رمياً بالسِّهام، وتمَّ وضع رأسه على حربة تصدَّرت مُقدِّمة الجيش الدِّمشقي الذي دخل دمشق مُكلَّلاً بأكاليل النَّصر[3].

صحيح أنَّ هذا الحادث وقع بعد قدوم سايلوف إلى فلسطين، ولكن إيراده له يُدِّلل على تناقل النَّاس قصة مصرعه وبذلك عمدَ سايلوف إلى

---

[1] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص164؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص467؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج2، ص381؛ ابن الحريري: الإعلام والتبيين، ص18؛ فون آخن(ألبرت): تاريخ الحملة الصليبية الاولى و مملكة بيت المقدس(1095 – 1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي للنشر، دمشق، 2015م، ص276.

[2] فيتلوس: وصف الأرض المقدسة، ص14.

[3] عوض: الرحالة الأوربيون، ص107.

حشوها في ثنايا رحلته بعد عودته إلى وطنه ليُدِّلل على همجية المسلمين[1]، ويُدلّل على أنَّهم كانوا يعدوُّنه بطلاً قوميَّاً ضحَّى بنفسه من أجل الهدف الذي قامت من أجله الحروب الصليبية، وهو السَّيطرة على الأراضي المُقدَّسة، وديمومة هذه السَّيطرة.

وتعكس رواية سايلوف مرحلة مهمَّة من مراحل الصّراع العربي بين أتابكيَّة دمشق، وأمراء الجليل في صورة جيرفاس، ويلاحظ أنَّ المصادر العربية المعاصرة وصفت ذلك الأمير الصّليبي بأوصاف تدل على علو كعبه في مجال الفروسيَّة ورباطة جأشه[2]، فابن القلانسي على سبيل المثال يذكر عنه أنَّه من مُقدِّمي الفرنج المشهورين بالفروسيَّة والشَّجاعة والبسالة والشدَّة، ويجري مجرى الملك بلدوين في التقدُّم على الفرنج[3].

[1] على ما يبدو أنَّ هذه الحادثة قد تناقلها أكثر من رحَّالة أجنبي، وربمَّا كان الهدف منها إثارة الأحقاد ضدَّ العرب المسلمين، فالرَّحَّالة الرُّوسي فيتلوس قد سرد الرواية ذاتها وبحرفيتها رغم أنَّ هذه الحادثة قد وقعت قبل قدومه إلى بلاد الشَّام، فمن المعروف أنَّه زار الأراضي المقدَّسة في فلسطين بين عامي(512- 525هـ/ 1118- 1130م)، وهذا دليل على تعمُّد رحالة الغرب الأوروبي بتناقل بعض الرّوايات الكاذبة لإثارة الأحقاد ضدَّ العرب المسلمين. فيتلوس: وصف الأرض المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و فؤاد عبد الرحيم دويكات، مؤسسة حمادة للدارسات الجامعية، إربد- الأردن، 2008م، ص23، 55.

[2] عوض: الرحالة الأوربيون، ص107.

[3] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص162.

وفي الوقت الذي ترافقت فيه رحلة الإنكليزي سايلوف إلى بلاد الشام مع صعود القوة الفاطمية ولا سيَّما البحريَّة منها، تناول هذا الرحالة في رحلته الحديث عن النشاط الفاطمي في البحر، والمحاولات التي بذلتها الدولة الفاطميَّة من أجل حماية الشريط الساحلي للعديد من المدن التي كانت لا تزال في أيدي المسلمين، وذلك خوفاً من وقوعها في أيدي الصّليبيين إذ تناول سايلوف النَّشاط البحري للأسطول الفاطمي في عرض البحر الأدرياتيكي وتحدَّث عن المعارك البحرية والاشتباكات التي وقعت بين الأسطولين الفاطمي والصليبي، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ذكره للنشاط البحري الفاطمي في عرض البحر المذكور[1].

ومن خلال تحدُّثه عن الإمكانات البحرية العالية التي جهز بها الأسطول الفاطمي، والذي أثار الخوف والرعب عند الصليبيين، بدا واضحاً من حديثه أنَّه أعطى صورة سلبية عن العرب المسلمين اتَّسمت بالاعتداء على أصحاب الأرض الحقيقيين (المسيحيين حسب تعبيره)، وربَّما مرد حديثه هذا إلى أنَّه كان أحد الَّذِّين تعرَّضوا لتلك المخاطر عند عبوره للبحر الأدرياتيكي، إذ منعه الخوف من الأسطول الفاطمي من التوغُّل في عرض البحر بعد أنْ أنهى زيارته للأراضي المُقدَّسة في فلسطين، إذ ذكر أنَّه قفل عائداً إلى بلاده خوفاً من التعرُّض لهجمات واعتداءات الفاطميين، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: « وبعد أن قمنا بزيارة جميع الأماكن المحرمة في مدينة بيت

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص47.

المقدس وحتى حدودها ذهبنا بعد ذلك على متن سفينة من يافا عائدين إلى الوطن، ولكن خوفنا من المسلمين لم يجعلنا نخاطر في الدخول إلى عمق البحر الأدرياتيكي لأنَّنا كُنَّا خائفين من اعتداءات أسطولهم»[1].

وعلى ما يبدو أنَّ حركة المقاومة العربيَّة الإسلاميَّة ضد الاحتلال الصّليبي فُهمت من قبل سايلوف بالاعتداء، فقد تناول الرحالة المذكور أحد المعارك التي جرت في البحر بين الفاطميين والصَّليبيين، وكانت هذه المعركة بحضوره، إذ ذكر أنَّه قام الأسطول الفاطمي والمؤلَّف من ست وعشرين سفينة بالتوجُّه إلى بابلونيا مع جيش كبير، وذلك من أجل مهاجمة ملك بيت المقدس[2].

وتابع سايلوف أنَّه في الوقت الذي كان فيه على متن سفينته، أحاط بهم الأسطول الفاطمي، لكن عندما رأى قائد الأسطول الفاطمي استعدادات السَّفينة والبحَّارة الأوروبيين أمرَ سُفنه بالانسحاب، وقد عبَّر سايلوف عن هذه

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص46.

[2] ومن الأمثلة على وصف المسلمين بالمعتدين ما ذكره الرحالة الروسي دانيال الراهب الَّذي قرن الهمجية والتدمير بالكُفر والوثنية، وصوَّرَ المُسلمين بأنَّهم مُعتدين على الأماكن الدينية المسيحيَّة، فقال: « ففي القُدس حيثُ حاول اليهود إلقاءَ جثة العذراء المُقدَّسة من النعشِ كانَ هُنالك ديرٌ في هذا المكانُ، ولكنَّ الكُفَّار دمَّروه، وفي بيتِ لحم قُرب بئر داود كان هُنالك كهفٌ يعلوهُ كنيسة جميلة سُمِّيت نسبة إلى يوسف، وكان على جانبها ديرٌ جميلٌ، وقد دُمِّرتا من قبل الكُفَّار، كذلك كانت عمواس بلدة كبيرة وقد بُنيتْ كنيسة كبيرة هناك، ولكنَّها هُدمتْ من قبل الكُفَّار». دانيال الراهب: وصف الأرض المقدسة، ص64، 80، 84، 88 ، 100، 119.

الحادثة بقوله: « وفي يوم الأربعاء...، وبينما كُنَّا نبحر بين حيفا وعكا شاهدنا ستاً وعشرين سفينة للمسلمين ظاهرة للعيان، وكانت تابعة لأدميرال مدن صور وصيدا، وكانت هذه السُّفن تتَّجه إلى بابلونيا مع جيش، وذلك لمساعدة الكلدانيين في شن حرب على ملك بيت المقدس، وتركتنا سفينتان جاءتا معنا من يافا، وكانتا مُحمَّلتين بالحجَّاج، وبقيت سفينتنا وحدها، وهربت السَّفينتان إلى قيساريَّة، وأبحرت سفن المسلمين حتَّى أحاطونا مهيئين أنفسهم على مثل هذا الصيد، وكان رجالنا مُستعدِّين للموت في سبيل المسيح، وقبضوا على أسلحتهم، وبقدر ما سمح لنا الوقت قمنا بتحصين برج السَّفينة بالرجال المسلحين، حيث أنَّه كان على مركبنا مائتا رجل قادرون على الدفاع عنها، ولكن بعد تأخير ساعة تقريباً قام رئيس الأعداء بعقد مجلس الحرب، وأعطى الأمر لأحد بحَّارته بالصعود إلى أعلى صارية في السفينة ليراقب من هناك ما كان يجري، وما كُنَّا نفعل على سفينتنا، وعندما عرفَ من البحَّار عن قوّة استعدادانا أعطى أوامره بالإبحار مُتَّجهاً داخل البحر، وهكذا سلَّمنا الله بفضلٍ منه ورحمةٍ، وأنجَانا من أعدائنا في ذلك اليوم، ولكنَّ رجلانا استطاعوا بعد ذلك أسر ثلاثة من تلك السفن في يافا، وأثروا أنفسهم من تلك الغنائم»[1].

وقد صوَّر الرحالة سايلوف أيضاً حركة المقاومة الشعبية التي قامت بها جماعات وأفراد من العرب المسلمين ضدَّ الاحتلال الصليبي على أنَّها

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص48.

حركة اعتداء، وذكر أنَّ هذا الاعتداء تجلَّى بنصب العرب المسلمين للكمائن[1] وهدفوا منها قتل الحجاج المسيحيين القادمين من الغرب الأوروبي وأيضاً تمثَّلت بقيام السكان بالهجوم على بعض معسكرات الجيش الصّليبي، ولعل أكثر المناطق التي حصلت فيها تلك الاعتداءات حسبما ذكر سايلوف كانت في الجبال الوعرة والطرق التي يسلكها الحجاج المسيحيين، ولا سيما في المنطقة الواقعة ما بين يافا والقدس، وقد تحدَّث الرَّحَّالة عن أساليب المعتدين(المقاومين حسب رأيُنا) باعتمادهم على الظهور والتَّخفِّي، واعتمادهم على الكمائن وعنصر المفاجأة.

وقد شبَّه سايلوف هذه الاعتداءات بحرب العصابات ضدَّ الصليبيين القادمين من الغرب الأوروبي، فكما ذكرنا أنَّ تلك المُصادمات بين الجانبيين قد اعتمدت على أسلوب الكر والفر والمباغتة وتحقيق أكبر قدر من الخسائر في صفوف الصليبيين، ثمَّ الرجوع إلى مواقعهم المُحصَّنة في الجبال، دونَ أن

[1] عن تلك الكمائن ينظر الشارتري: تاريخ الحملة إلى بيت القدس، ص111؛ دانيال الراهب: وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ص48؛ التطيلي(بنيامين): الرحلة، تر: عزرا حداد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م، ص337. فون آخن: تاريخ الحملة الصليبية الأولى، ص24–26؛ الصوري(وليم): تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2003م، ج1، ص123؛ داجيل(ريموند): تاريخ الفرنجة غزاة المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1991م، ص19؛ رنسيمان(ستيفن): تاريخ الحروب الصليبية، ، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م، ج1، ص201.

يكونوا قد خسروا الكثير من رجالهم، ويبدو أنَّ العرب المسلمين في الأراضي المُقدَّسة في فلسطين حينذاك قد أدركوا أن المعارك بين الجيوش النَّظاميَّة العربيَّة الإسلامية والصَّليبيَّة قد أدَّت إلى إلحاق الهزائم بهم على نحو أدَّى بدوره إلى نجاح الصليبيين في تحقيق أهدافهم واحتلال أجزاء مُهمَّة وحيويَّة من بلاد الشَّام والجزيرة، ومن ثمَّ فإنَّ الحل المنطقي في نظرهم كان في شن هجمات سريعة تلحق الأضرار وتستهلك طاقات الصليبيين وتحرمهم من الدَّعم البشري القادم من أوروبا، وتجعل أمر استقرارهم في المنطقة باهظ التكاليف[1].

وقد عبَّر سايلوف عن ذلك بقوله: « وذهبنا من يافا إلى مدينة بيت المقدس في رحلة استغرقت مسيرة يومين عبر طريق جبليَّة وعرة وخطرة جداً، حيثُ أنَّ المسلمين اعتادوا أنْ ينصبوا الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ إنَّهم يختبئون في الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصَّخريَّة، وكانوا يراقبون ليلاً ونهاراً حتَّى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين، أو الهجوم على أولئك الذي يتخلَّفون وراء جماعتهم بسبب التَّعب وفي لحظة ما يمكن رؤيتهم في كل مكان ثمَّ يختفون كليَّة، ويمكن لأيّ شخص يقوم بمثل هذه الرّحلة أنْ يرى ذلك»[2].

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص44.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23.

كما قدَّم سايلوف صورة للمأساة التي واجهها الحُجَّاج والمخاطر التي كانت تحدق بهم، وما كان يصيبهم من خوف وفزع، لدرجة أنَّ الجثث كانت تنتشر على الطرقات وتأكلها الوحوش، لأنَّه لا يستطيع أحد دفنهم حرصاً على النَّجاة بحياتهم، وربَّما كان هدف سايلوف من ذلك الإشارة إلى المقاومة الشعبية (الاعتداءات حسب رأيه) التي لقيها الصَّليبيين والحُجَّاج، رفضاً من العرب المسلمين للوجود الصليبي، ولعلَّ من أبرز الإشارات التي وردت في رحلته عن هذا الأمر قوله: « كم هو كبير عدد الجُثث المُلقاة أو الممزَّقة من قبل الوحوش في الطريق أو على جانبه، ويمكن للبعض أنْ يندهش؛ لأنَّ تلك الجثث المسيحيَّة مُلقاة هناك غير مدفونة، ولكنْ يجب ألَّا يندهش المرء البتَّة، حيثُ أنَّه لا يوجد إلَّا قليل من التُّراب، ولا يمكن الحفر بسهولة في الصُّخور الصُّلبة، وحتَّى لو وجدت الأرض التُّرابيَّة من هو الأحمق الذي سيكون بوسعه ترك جماعته والقيام بمفرده بحفر قبر لأحد رفاقه؟! لو فعلَ ذلك فإنَّه سيكون مُستعدَّاً لعمل قبر لنفسه، بدلاً من قبر رفيقه»[1].

وبناءً على أقوال سايلوف السَّابقة فإنَّ رحلته تكشف لنا عنف المقاومة العربية الإسلامية في ذلك الطريق (والتي عدَّها هو مجرد اعتداء) والتي بلغت حدَّاً دفعت الصَّليبيين إلى تجنُّب دفن قتلاهم خوفاً من أنْ يغتنم المسلمون الفرصة

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23؛ النقر (محمد الحافظ): كتابات الرحالة الأوربيين عن مملكة بيت المقدس، جامعة آل البيت، المفرق- الأردن، 1999م، ص201.

ويفتكون بهم، وهذا الوصف البارع الذي يفيض حيويَّة وتفصيلاً يفيدنا في إدراك حجم المقاومة العربيَّة الإسلاميَّة ضدَّ الصَّليبيين خلال تلك المرحلة المبكرة من الوجود الصليبي في الأراضي المُقدَّسة في فلسطين[1].

ورغمَّ عدَّ سايلوف في بعض الأحيان لما يقوم به العرب المسلمين بأنَّه مجرد أعمال سلب ونهب واعتداء وقتل، فإنَّ الرَّحَّالة ذاته يقرِّر بأنَّ تلك الأعمال كانت ضدَّ جميع الصَّليبيين سواء فقير أمْ غني، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: « على ذلك الطريق ليس الفقير أو الضعيف في خطر بل الغني والقوي يواجهان نفس الخطر، كثيرون يقتلون من قبل المسلمين»[2].

ومن الأهمية بمكان القول: إنَّه يمكن الرد على سايلوف بأنَّ الاقدام على قتل الفقراء يدلُّ دلالةً واضحةً على أنَّ قاتليهم لم يهدفوا إلى سلب أموالهم وأمتعتم و الاعتداء عليهم، ولكن الرَّغبة في مقاومة موجة الغزو الصَّليبي للمنطقة، وبالتالي فإنَّه من الانصاف أنْ نُقرِّر أنَّ حركتهم اتَّسمت بطابع الجهاد ولا تتَّصف بطابع الاعتداء والهمجية[3].

وبالمقارنة يُلاحظ أنَّ الطابع السلبي الذي تجلّى في رحلة الإنكليزي سايلوف قد طبع رحلة الألماني ثيودوريش، فقد فُهِمت حركة المقاومة العربيَّة الإسلاميَّة من قبل ثيودوريش على أنَّها اعتداء من قبل العرب المسلمين على

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص44.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23

[3] عوض: الرحالة الأوربيون، ص44.

الصليبيين، وقد بدَا ذلك في رحلته من خلال حديثه عن الصَّليبيين وحجَّاجهم، إذ تطرَّق للحديث عن كُثرة الحراسات التي تُرافق هؤلاء خوفاً من اعتداء العرب المسلمين، وتجلَّى هذا الأمر عند حديثه عن فرسان المعبد[1] الذي كانوا يمتلكون كثيراً من الأبراج والبيوت الواسعة، وأنَّ من مهامهم مرافقة الحجَّاج الَّذين يتوجَّهون إلى الكنائس القريبة من نهر الأردن، و ذلك خوفاً من اعتداءات الوثنيين المُسلمين على حدِّ تعبيره، وأنَّ مُهمَّتهم حمايتهم حتَّى لا يُصابوا بأذى سواء في طريق الذَّهاب أمْ في طريق العودة، وقد أوردَ ثيودوريش ذلك عند ذكره تنظيم الحراسات لهؤلاء الحجاج، والَّذين كانوا يقطنون في جبل القرنطل للاستراحة أو الصَّلاة، إذ عبَّر عن ذلك بقوله: « كان الحُجَّاج مُتعوِّدون أنْ يقضوا الليل بأنْ يذهبوا إلى الكرانتينا (القرنطل) من أجل الصَّلاة، ويمكن أنْ يُنظِّفوا أنفسهم في مياه نهر الأردن، ويتم حماية الحُجَّاج على ثلاث نواح بواسطة الحديقة (حديقة إبراهيم) نفسها من كمائن

[1] جمعيةٌ دينيةٌ أُنشئت أوَّل الأمر لحمايةِ طريق الحُجَّاج المسيحيين بينَ يافا وبيت المقدس، ثمَّ تحوَّلتْ إلى هيئةٍ حربيَّةٍ. الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص576، 577؛ الفيتري(يعقوب): تاريخ بيت المقدس، تر: سعيد اليشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1998م، ص90، 91؛ السامرائي(إبراهيم): المجموع اللفيف، دار عمار، عمان، 1987م، ص98؛ دهمان(محمد أحمد): معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص73.

العرب المسلمين، وعلى النَّاحية الرابعة تحميهم وتحرسهم دوريَّات من فُرسان الاسبتاريَّة[1] والدَّاويَّة[2]»[3].

كذلك بدا ذلك واضحاً عند حديثه عن كنيسة القدِّيس ألعازر في بيثاني" العيزرية" فقد ذكر الرَّحَّالة أنَّ الأرض هناك لمْ يتم حرثها وفلاحتها بسبب غارات واعتداءات العرب المسلمين، إذ قال: « وفي بيثاني لمْ يقم المسيحيين بفلاحة أراضيهم وحرثها خوفاً من هجمات واعتداءات العرب المسلمين»[4].

[1] طائفةٌ دينيةٌ أُطلق عليها أيضاً جمعية الهسبتاليين شاركت في الأعمال الحربيَّة والأعمال الطبيَّة. الصوري: تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص830، 831؛ الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص86، 87؛ لويس(أرشيبالد): القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد عيسى، القاهرة، ط1، 1960م، ص329؛ توفيق (عمر كمال): مملكة بيت المقدس الصليبية، الاسكندرية، ط1، 1958م، ص193؛ سميث(جوناثان رايلي): ماهي الحروب الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، القاهرة، 1990م، ص74.

[2] منظمة صليبيَّة تأسست سنة(513هـ/ 1119م)، فجمعت بين نقيضين: الرهبة والجديَّة، وعرف أعضاؤها في العصور الوسطى باسم "فرسان المسيح الفقراء"، أو "فرسان الهيكل" وسماهم مؤرخو الحروب الصليبية العرب "الداوية" وكان هدف المنظمة كمثيلتها الاسبتارية إيواء الحجاج المسيحيين في المشافي ومداواتهم وحمايتهم. الفيتري: تاريخ بيت المقدس، ص94، 95.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 108.

[4] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 109.

كذلك أشار ثيودوريش إلى أنَّ هجمات العرب المسلمين كانت سبباً في ارتفاع أسعار الخشب في القدس، لأنَّ جبل لبنان هو الجبل الوحيد المُحاط بخشب الأرز والسَّرو والصُّنوبر، ويقع على بعد مسافة شاسعة عنهم، ولا يستطيعون الوصول إليه خوفاً من هجمات الوثنيين[1].

وذكر ثيودوريش أنَّ اعتداءات العرب المسلمين كان سبباً دفع الصَّليبيين إلى إخفاء طعامهم وأسلحتهم في أماكن تحت الأرض، وقد بدَا حديثه واضحاً عند ذكره جبل القرنطل، إذ قال: « إنَّ قمة جبل الكرنتينا وكهوفه الموجودة تحت الأرض مليئة بالمؤن والأسلحة التي تخص فرسان المعبد الَّذِين لا يملكون حُصناً مناسباً بسبب مضايقة العرب المسلمين واعتدائهم»[2].

كذلك برزت صفة الاعتداء في رحلة الألماني ثيودوريش عند حديثه عن رجال الدِّين المسيحيين الَّذِين يقطنون بالقرب من نهر الأردن، إذ أشار إلى وجود كنيسة على ضفّة النَّهر قطن فيها ستة رهبان، لكن تمَّ قتلهم وقطع رؤوسهم من قبل عماد الدِّين زنكي[3]، وقد عبَّر ثيودوريش عن ذلك بقوله:

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 109.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدَّسة، ص 107.

[3] عماد الدِّين زنكي بن قسيم الدين آقسنقر أتابك الموصل، تولَّى عماد الدِّين زنكي أتابكية الموصل بعد وفاة والده، واتَّخذها قاعدة للتوسع وتوحيد الجبهة الإسلامية في الفترة (522- 541هـ/ 1128- 1146م)، وكان شجاعاً شهماً غيوراً، ختم حياته بالشهادة. ابن الجوزي(عبد الرحمن بن علي): المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد

« وشُيِّدت على ضفّة نهر الأردن كنيسة قطنَ فيها ستة رهبان، حيث تمَّ قطع رؤوسهم من قبل زنكي»[1].

وعلى ما يبدو أنَّ الرَّحَّالة الألماني ثيودوريش قد ساق قصصاً من نسج الخيال وحشاها في رحلته ليدلِّل على اعتداء العرب المسلمين وهمجيتهم، وقد ورد ذلك عند حديثه عن قدوم عدد من الحُجَّاج المسيحيين إلى بيت المقدس، غير أنَّهم وجدوا غاصة بالعرب المسلمين، ولم يتمكَّنوا من دخولها، ولمْ يكن معهم طعام أو شراب، وعندما أدرك العرب أنَّهم عاجزون عن المقاومة ذبحوهم جميعاً، وذكر أيضاً أنَّه عندما يُقرِّر المرء مغادرة المدينة المُقدَّسة باتِّجاه الغرب عند البوَّابة المعروفة ببرج داوود، هناك طريق يؤدِّي إلى كنيسة ويخطو المرء خطوات هابطاً إلى كهف قرَّر العرب أنْ يحرقوا فيه كافَّة جُثث أولئك الحُجَّاج غير أنَّ العناية الإلهية أرسلت أسداً ألقى بجميع تلك الجثث في الكهف[2].

وإذا ما أتينا إلى تحليل الرِّواية السَّابقة يُلاحظ أنَّ عنصر الخيال قد لعب فيها دوراً كبيراً، ومن الواضح أنَّها ترجع إلى ما قبل نجاح الصَّليبيين في

القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م، ج10، ص121؛ ابن الأثير(علي بن ابي الكرم محمد): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر طليمات، جامعة عيش شمس، مصر، القاهرة، د.ت، ص26، 55؛ الأصفهاني(محمد بن محمد): تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، 1980م، ص187.

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة ، ص109.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص55.

السَّيطرة على بيت المقدسة سنة (492هـ/ 1099م)، خاصَّة أنَّ ذلك الرَّحَّالة أشار فيها إلى وجود أعداد كبيرة من العرب عندما قدِم الحُجَّاج إليها، ومن جهة أخرى فإنَّه لمْ يُحدِّد تاريخاً مُعيَّناً لتلك الحادثة، فضلاً على أنَّ القسم الخاص بالأسد ودوره يدل بجلاءٍ على أنَّ الرِّواية برُمَّتها من نسج خيال الحُجَّاج البسطاء في عصر سادت فيه الأساطير والغيبيَّات على العقول، وتراجع فيه الاتِّجاه العقلاني في أوروبا خلال العصور الوسطى[1].

2- الوثنيَّة والكفر[2]:

وهي سمة اعتاد الرحالة الأجانب على نعت العرب المسلمين بها[3]، وربَّما القصد منها تكفير كل الَّذِّين لا يؤمنون بالمسيحيَّة، وإذا ما أتينا لدارسة

---

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص188.

[2] وردت هذه الصفة عند أغلب الرَّحَّالة الأجانب الذِّين زاروا بلاد الشَّام خلال فترة الاحتلال الصّليبي فمثلاً الرَّحَّالة الإنكليزي جون ماندفيل الذي زار بلاد الشام خلال الفترة (722- 756هـ/ 1322- 1355م)، اتَّبع نهج سابقيه من الرَّحَّالة في إطلاق صفات ونعوت على المسلمين اتّسمت بالسلبية، ولا سيَّما أنَّه نهج أسلوب معاصره الرحالة أودوريك أوف بوردينون. ماندفيل(السير جون): أسفار السير جون ماندفيل ورحلاته، تر: أنس الذهبي و رنا جزائري، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2012م، ص43. بوردينون(أودوريك أوف): رحلة الفرير أودوريك، تح: جوناثان بولارد، لندن، ط1، 1900م، ص356، 357.

Mandeville. J; Voyages And Travels, Edited By Artgur Layard, D. Appleton & Co, New York, 1901, p 81.

[3] مثالها عندما وصف الرحالة الرُّوسي فيتلوس المسلمين بأنَّهم وثنيون وكفار، مؤكِّداً معاداتهم المسيحيَّة، ومثالها قوله في رحلته: « باتِّجاه الشرق من القدس توجد كنيسة

هذه الصفة كما أوردها الرحالة الإنكليزي سايلوف، نجد أنَّه فقد أطلق على المسلمين صفة الوثنيَّة والكفر في مواضع عدَّة من رحلته، وهو بذلك يقصد الحديث عن عقيدة المسلمين، لأنَّه بحدِّ تعبيره أنَّ كلّ شخصٍ لا يؤمن بالمسيح وآلامه فهو كافرٌ ووثنيٌّ، وربَّما قصد سايلوف من ذلك سلب صفة الإيمان عن المسلمين، ليُعطي تبرير لمشروعية الحروب الصَّليبيَّة، وليوضِّح صورة الصِّراع العربيّ الإسلاميّ– الصَّليبيّ خلال فترة زيارته للأماكن المُقدَّسة في فلسطين، وعلى ما يبدو أنَّ هذا الأمر يُعدُّ بحكم الدَّافع التَّشجيعيّ للمسيحيين لتخليص ما تبقَّى من أماكن تحتوي على المُقدَّسات المسيحيَّة من أيادي قومٍ لا يؤمنون بآلام السيد المسيح، ولا يُقدِّسون مريم العذراء، (على حد تعبيره)، فالمسلمون حسبما رأى سايلوف وثنيين يكنُّون كلّ العداء للمسيحيين، ولكل من يعبد الله (الرَّب يسوع– حسب رؤية سايلوف)، وقد وردت الإشارة في رحلته " وصف الأراضي المُقدسة " عن وثنية المسلمين بقوله: « وهي بلاد تتَّسم بالعداء للمسيحيين، ولا تتَّسم بالودِّ لكلَ من يعبد الله»[1].

ويبدو أنَّ تلك الإشارة التي وردت في رحلة سايلوف مرجعها إلى طبيعة تلك المرحلة التَّاريخيَّة ذاتها، والتي حوت قدراً كبيراً من التعصُّب من

صغيرة، خصص مذبح عظيم القدسية للصليب المقدس، وقد حفظتْ قطعة كبيرة من الخشب نفسه في علبة جميلة بحيث يمكن رؤيتها بسهولة ووضوح، وهذه القطعة مغطاة بالذهب والفضة والجواهر، وعندما تتطلب الحاجة يحمل المسيحيون هذا الرمز المقدس ضد الوثنيين في المعركة». فيتلوس: وصف الأرض المقدسة، ص66.

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص41.

جانب الصَّليبيين على نحو خاص ضدَّ كلّ ما هو غير مسيحي[1]، وللتدليل على ذلك الاتِّجاه التَّعصُّبي ما ذكره سايلوف بذكره عبارة " بلاد العرب" بقوله: « وعلى الجانب الآخر من الأردن توجد بلاد العرب، وهي التي تُناصب المسيحيين عداءً شديداً ولا تصادق كلّ الَّذِّين يؤمنون بالله»[2].

كذلك وردت صفة الوثنيَّة في رحلة سايلوف عند حديثه عن التَّراتيل الدِّينية التي أقامها المسيحيين في الذِّكرى السَّنويَّة للسيطرة على بيت المقدس من أيدي العرب المسلمين، إذ قال: « اللهُ القادر الأبديّ الَّذي أنقذَ بيت المقدس برحمته الفائقة من أيدي الوثنيين وأعادها للمسيحيين، نتوسَّلُ ونتضرَّعُ إليكَ، وتساعدُنا، حيثُ تحفظ هذا اليومُ في كلِّ سنةٍ، وقد يكونُ مُستحقَّاً تحقيق السَّعادة لبيت المقدس المُقدَّسة بواسطة المسيح ﷺ، أيُّها السَّيد نحنُ نتوسل إليك، تقبَّل هذا القُربانُ الَّذي أحضرناهُ بتواضع ...، نحنُ الَّذِّين نحتفظُ بقدَّاسة هذا اليومُ حيثُ أنقذتَ بيت المقدس من أيدي الوثنيين»[3].

وبالمقارنة برزت عدائيَّة الرَّحَّالة الألماني ثيودوريش وحقده على المسلمين بدافع تشجيعي للحروب الصَّليبيَّة من خلال نعته المسلمين بالوثنية في أكثر من موضع من رحلته، وهو بذلك يهدف إلى تبيان أنَّ المسلمين هم أعداء للمسيحيين، وكل من يؤمن بالمسيح عليه السَّلام وآلامه.

---

[1] عوض: الرحالة الأوربيون، ص45.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص41.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص144، 115.

وقد تجلَّت صفة الوثنية في رحلته عند حديثه عن كنائس القدس، وعن الصليب المُقدَّس الذي يحمله الصَّليبيون في حروبهم ضدَّ الوثنيين(المسلمين) على حد تعبيره، إذ عبَّر عن ذلك قائلاً: « وفي بيت المقدس، وباتِّجاه الشَّرق منه، توجد كنيسة صغيرة ذات قُدسيَّة خاصَّة، خُصِّص مذبحٌ عظيمُ القُدسيَّة للصليب المقدَّس، وقد حفظتْ قطعة كبيرة من الخشب نفسه في علبة جميلة بحيث يمكن رؤيتها بسهولة ووضوح، وهذه القطعة مُغطَّاة بالذهب والفضة والجواهر، وعندما تتطلَّب الحاجة يحمل المسيحيون هذا الرَّمز المُقدَّس ضدَّ الوثنيين في المعارك»[1].

كما برزت سمة الوثنيَّة عند ثيودوريش عندما تناول في رحلته الحديث عن الكنائس المسيحيَّة المُقدَّسة بالقرب من بيت المقدس، ولا سيَّما كنيسة جبل صهيون[2]، إذ ذكر أنَّ الكنيسة كانت مُحصَّنة جداً خوفاً من هجمات الوثنيين(المسلمين)، وقد عبَّر عن ذلك بقوله: « وكنيسة جبل صهيون كنيسة جميلة على شُرفة عالية، لكنَّها مُحصَّنة جيدًا بالأسوار والأبراج، والشُّرفات ذات الفتحات ضدَّ هجمات الوثنيين»[3].

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص71.

[2] مثالها قول: الرَّحالة الألماني بورشارد دي مون سيون عن كنيسة القدِّيسة مريم في جبل صهيون: « والكنيسة محصنة جيداً بالأسوار والأبراج والشرفات ذات الفتحات ضد هجمات الوثنيين». بورشارد: وصف الأرض المقدسة، ص95.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص95.

وكذلك وردت صفة الوثنيَّة في رحلة ثيودوريش عند حديثه عن مدينة عكَّا، إذ أشار إلى لفظة الوثنيَّة عند ذكره أنَّ كل من يحاول مُهاجمة المدينة من الوثنيين[1] فمصيره العمى والطاعون، إذ قال: « وعكَّا مدينة جميلة، وهي الآن بيد قومنا المسيحيين، وهم أصحابها الحقيقيين، وكانت قبل ذلك مُغتصبة، لكنْ بفضل الرَّب يسوع، وبحمده وبنعمته تمكَّن أبنائنا من استعادتها إلى أصحابها الحقيقيين، وكل من يحاول من الوثنيين الاقتراب منها فإنَّه يُصاب بالعمى والطاعون»[(2)].

أما لفظة الكُفَّار فقد تكرَّرت مرَّات عدّة في رحلته وقد بدا ذلك واضحاً من خلال حديثه عن وصف كنيسة السَّيد المسيح (الصعود) على جبل الزيتون[(3)]، إذ ذكر أنَّ المسيحيين قاموا بتحصين الكنيسة جيداً خوفاً من هجمات الكفار(المسلمين)، فقال في ذلك: « والكنيسة مُحصَّنة بقوَّة ضدَّ

[1] مثالها وصف الرحالة الإنكليزي جون ماندفيل ماندفيل للمسلمين بالوثنية عند حديثه عن القدس، إذ قال: « والآن يوجد الوثنيون في هذه الأرض التي يحكمونها منذ أكثر من أربعين عاماً، كما كان يوجد في القدس عدد من قبور الرجال المقدسيين والنساك المقدسيين، الَّذين تحدَّث عنهم كتاب حياة أبينا، وهم الآن موجودون في أيدي الوثنيين». ماندفيل: أسفار السير، ص104، 107.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص28.

[3] مثالها ما قاله الرَّحَّالة الرُّوسي دانيال الراهب: « بالقرب من ضريح العذراء المقدَّسة مغارة صغيرة منحوتة في الصخر، ولها مدخل منخفض لدرجة، ويتخذ داخل المغارة شكل كنيسة صغيرة، مغطاة بقطع من الرخام الجميل، ولكن المكان في الوقت الحاضر أتلفه الكفَّار الوثنيين». دانيال: وصف الأرض المقدسة، مقدمة الرحلة، ص40.

الكفَّار، وهي مُحصَّنة بالأبراج سواء منها الكبيرة أمْ الصَّغيرة، وكذلك الأسوار، والجدران المُفتوحة من الأعلى، فضلاً عن الدَّوريات الليليَّة»[1].

3- مغتصبون:

آمنَ المسيحيونَ بأنَّ الأراضي المُقدَّسة في بلاد الشَّام هي من حقِّ المسيحيين المؤمنين، لأنَّها مُرتبطة ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المسيح ﷺ، وإنَّ المُسلمين اغتصبوها اغتصاباً، ولا حقَّ لهُم بها، ومن هُنا يجبُ على المسيحيين استردادها، وإعادة الحقِّ إلى نصابهِ.

فالرَّحَّالة الإنكليزي سايلوف عبَّر عن وجهةِ نظر أبناء ملَّتهِ حينَ صوَّر المُسلمين بأنَّهُم مُغتصبين لبيت المقدس، وأنَّ ما فعلهُ الصليبيين في الحملةِ الصليبيَّة الأوَّلى سنة (492هـ/ 1097م)[2] كان تحريراً للمدينة المُقدَّسة من سلطة المُسلمين، وإعادتها إلى حُضنِها الدافئ، أيّ الحُضن المسيحي، فقال: « عندما وقعتْ المدينة في الأسرِ لفترةٍ طويلة تحتَ حُكم المسلمين الَّذين ينتمون لأجناسٍ مختلفة، فإنَّ المدينة حُرِّرتْ من قبل الجيش

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص103.

[2] ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص137؛ ابن الأزرق الفارقي(أحمد بن يوسف): تاريخ الفارقي، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب، بيروت، 1974م، ج7، ص268؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص283؛ ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، ص82؛ نهاية الأرب، ج27، 258؛ أبي الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج2، ص211؛ ابن خلدون(عبد الرحمن 808هـ/ 1406م): تاريخ ابن خلدون مع المقدمة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م، ج5، ص21.

المسيحي إحياءً لذكرى أقرُّوها، وهُم يحتفلونَ بذلك بعد تجديد تكرُّس الكاهن بطقوس دينية مُبجَّلة، وذلك بالغناء في بداية صلاة القدَّاس، والقدَّاس العُلى للتكريس»[1].

وتجلَّت هذه النظرة للمُسلمين من التراتيل التي تُقال في هذه الذكرى، وقد حضرَ الرحَّالة سايلوف إحدى هذه التراتيل في الذكرى السَّنويَّة، وهم يحمدون فيها الله على هذا التَّحريرُ، ومنها: « اللهُ القادر الأبديّ الَّذي أنقذَ بيت المقدس برحمته الفائقة من أيدي الوثنيين وأعادها للمسيحيين، نتوسَّلُ ونتضرَّعُ إليكَ، وتساعدُنا، حيثُ تحفظ هذا اليومُ في كلِّ سنةٍ، وقد يكونُ مُستحقاً تحقيق السعادة لبيت المقدس المُقدَّسة بواسطة المسيح ﷺ، أيُّها السيد نحنُ نتوسل إليك، تقبَّل هذا القُربانُ الَّذي أحضرناهُ بتواضع...، نحنُ الَّذين نحتفظُ بقدَّاسة هذا اليومُ حيثُ أنقذتَ بيت المقدس من أيدي الوثنيين»[2].

وبالمقارنة وصف الرحَّالة الألماني ثيودوريش المسلمين بأنَّهم مُغتصبون للأراضي المُقدَّسة، ودفعته نظرته الدِّينيَّة الحاقدة إلى وصف المسلمين باغتصاب الأراضي المقدَّسة، إذ وصف استعادة الصليبيين لها في حروبهم المُقدَّسة، باستعادة الحق المُغتصب، وتجلَّى ذلك في حديثه عن ضريح جودفري الذي قاد الحملة الصَّليبية لاحتلال بيت المقدس، وتجلَّى ذلك

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة ، ص71.

[2] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص144، 115.

بقوله: « وخلفَ هذا يقع الضَّريح الثالث، وهو يعودُ إلى شقيق الملك جودفري نفسه الَّذي بوساطة سيفه وحكمته استعاد مدينة بيت المقدس، التي تمَّ اجتياحها من قبل المسلمين والأتراك، وقد أعادها للمسيحية»[1].

كما تجلَّت هذه الصفة عند حديثه عن استعادة واسترداد الصَّليبيين لمدينة بانياس وذلك سنة (555هـ/ 1161م)[2]، فقال ما نصَّه: « وبفضل الرَّب يسوع وبحمده، استردَّ أبناء ملَّتنا المسيحيين حقَّهم المُغتصب في بانياس»[3].

ويبدو أنَّ اقتناع ثيودوريش بأنَّ المسلمون مغتصبين هو الذي دفعه إلى تجاهل الوجود الحضاري للعرب المسلمين، وبدَا ذلك واضحاً عند تناولهم لعمارة بعض الأماكنِ المُقدَّسة التي ترتبط بالمسلمين، فتجاهل طرازها المعماريّ الإسلاميّ، وركَّز في وصفه على الطِّراز المعماريّ المسيحي، إذ جعلَ قُدسية الأرض مُرتبطة بالديانة المسيحيَّة فقط، وتجلَّى ذلك في حديثه عن كنيسة ضريح المسيح ﷺ، فقال: « الأثر الوحيد الذي ما يزالُ قائماً، ثمَّ ما سنتحدث عنه بخصوص الأماكن المُقدَّسة التي على أساسها تُسمَّى المدينة نفسها مُقدَّسة، لذلك فكَّرنا أنَّه من الصَّواب البدء بأقدس المُقدَّسات، أيّ من ضريح السَّيِّد المسيح، فتُعرف كنيسة الضَّريح المُقدَّس»[4].

---

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص73.

[2] خبر احتلال الفرنج لمدينة بانياس عند: ابن القلانسي: ذيل تاريخ دمشق، ص317؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج37، ص32.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص134.

[4] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص61.

وينطبقُ الأمر ذاتهُ عند حديثه عن قُبَّة الصَّخرة وطرازها المعماري، وشكلها المُثمَّن، فلمْ يشرْ إلى اليد العربيَّة الإسلاميَّة التي أسهمت في جعلها على قدرٍ كبير من الرَّوعة والجمال، وإنَّما اكتفى بالوصف والحديث عن ارتباطها بالدين المسيحيّ، ونقل ما على جوانبها من نقوش مسيحيَّة، فقال: « من الواضح أنَّ المعبدَ نفسُه ذو شكلٌ ثُمَانِي من الجزء الأسفل، أمَّا الجزءَ العلوي، فهو مُزيَّنٌ بالرُّخام الجميل جداً حتَّى مُنتصفه، ومن المنتصف حتَّى جوانبه العُليا، حيثُ توجد الرووف المُزيَّن بأعمال الفُسيفساء بشكل رائع جداً، ويُشكِّل السور العلوي دائرة ضيقة مُثبَّتة على أقواس داخل المبنى، وتدعمُ رووفاً رصاصيَّاً له عند قمَّته كُرة كبيرة فوقَ صليب مُذهَّب»[1].

وربَّما جعلهُ تعصَّبهُ الدِّيني يُجري مُقارنة بين النَّمط المعماريّ الأوروبيّ، والنمط الإسلامي فيما يخصُّ وصف مدينة القدس بتجاهل واضح للأيدي العربيَّة الإسلاميَّة التي أسهمت في بنائها، فقال: « كلُّ شوارع المدينة تقريباً مرصوفة بحجارة مُقنطرة ومثقوبة بنوافذ عديدة لتمرير الضوء، أمَّا المنازلَ فهي مُدعَّمة بأعمال حجريَّة ذات شكلٍ رائعٍ، وهي لا تنتهي بطوابقٍ علويَّة مكشوفة من الأعلى طبقاً لأسلوبنا، وإنَّما يقيمونها مُستوية، وذات سطوحٍ مُنبسطة»[2].

[1] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص81، 82.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص59.

4- اللصوصية وقطع الطريق[1]:

وهي من الصفات التي اعتاد الرَّحَّالة الأجانب على نعت العرب المسلمين بها[2]، لإظهارهم بمثابة لصوص[3]، ومتعدِّين يقومون بأعمال السَّلب والنَّهب، ولعل الرحالة الإنكليزي سايلوف كان أحد هؤلاء الَّذِّين

---

[1] اعتاد المؤرخون الأوربيون على وصف المسلمين الذِّين يكمنون للصليبيين بأنَّهم لصوص وقطاع طرق، وأنَّ عملياتهم لم يكن الهدف منها سوى السَّلب والنَّهب، وقتل الحجاج المسيحيين، وكأنَّهم بذلك ينكرون حق المقاومة الإسلامية ضد الغزو الصليبيين، وهي بلا شك أوصاف مخالفة للحقائق التاريخية التي تؤكد أن العرب المسلمين، كانوا يوجهون جهودهم لمحاربة الجنود والفرسان الصَّليبيين، وليس الحجَّاج المسيحيين الذي كفل لهم الإسلام حق ممارسة شعائر. عبدالمنعم(سرور علي): طريق يافا- القدس ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (492- 548هـ/ 1099- 1153م)، جامعة عين شمس، 2009م، ص138.

[2] كذلك وردت صفة اللصوصية وقطّاع الطُّرق التي أطلقها دانيال على المسلمين عند حديثه عن بيت لحم، إذ قال: « استيقظنا مبكرين، لكي نتقدَّم إلى بيت لحم، وسرنا تحت حماية أحَّد زعماء المسلمين حتى بيت لحم، وقد صحبنا إلى كل مكان، و بدون مساعدته لمْ يكن ليتسنَّى لنا عبور تلك الأماكن، بسبب هجمات قطّاع الطُّرق في الجبال، وهكذا وصلنا ونحن سعداء إلى مدينة بيت لحم الطاهرة». دانيال: وصف الأرض المقدسة، ص 82.

[3] وردت الإشارة إلى ذلك بصفةِ اللصوصيَّة في رحلة فريسكو بالدي، فذكر أنَّ المُسلمين لصوصٌ، وذلك عند حديثهِ عن الكنيسة الواقعة بين نهر الأُردن وأرض أريحا، فقال: « وعلى نهرِ الأُردن وجدنا كنيسة القدِّيس يُوحنَّا المعمدان، وهي جميلةٌ ومتينةٌ لكنَّها بحاجة لأنْ تُحمَى بالأسوارِ، ذلكَ أنَّها تقعُ في منطقةٍ فيها أعتَى لصوصُ تلكَ المنطقة وهم المسلمون، وبتنا الليلَ هُناك، وكانَ علينا أنْ نحرُسَ المكان كلَّ الليل». فريسكو بالدي: رحلات إلى الأراضي المقدسة، ص108.

استخدموا لفظة (لصوص – قطاع طرق) في مواضعٍ عدَّة من رحلته، ولعلَّ من أبرز تلك المواضع قوله: « وذهبنا من يافا إلى مدينة بيت المقدس في رحلة استغرقت مسيرة يومين عبر طريق جبليَّة وعرة وخطرة جداً، حيثُ أنَّ المسلمين اعتادوا أن ينصبوا الكمائن والمصائد للمسيحيين، إذ إنَّهم يختبئون في الأماكن الجوفاء من الجبال والكهوف الصَّخريَّة، وكانوا يراقبون ليلاً ونهاراً حتَّى تسنح لهم الفرصة لمهاجمة مجموعة من المسافرين، أو الهجوم على أولئك الذي يتخلفون وراء جماعتهم بسبب التَّعب وفي لحظة ما يمكن رؤيتهم في كل مكان ثمَّ يختفون كليَّة، ويمكن لأي شخص يقوم بمثل هذه الرّحلة أنْ يرى ذلك»[1].

وبالمقارنة تجلَّت هذه الصّفة في رحلة الرَّحَّالة الألماني ثيودوريش، إذ تحدَّث عن انتشار ظاهرة قطع الطُّرقات وممارسة اللصوصيَّة من العرب المسلمين، وخاصّة في الطريق الواقع بين بيت المقدس ونهر الأردن، وكذلك بين القدس ويافا، وقد عبَّر ثيودوريش عن ذلك بقوله: « وفوق جبل الزيتون على طول الطَريق الممتد من القدس إلى نهر الأردن تتواصل هجمات اللصوص وقطاع الطُّرق من العرب المسلمين»[2]. وقوله أيضاً عند ذهابه إلى بيت لحم: « وسرنا مُتَّجهين إلى بيت لحم مُصطحبين معنا بعض الأدلاء والحُرَّاس من المعبد خوفاً من هجمات اللصوص وقطاع الطُّرق»[3].

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص23.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص139.

[3] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص131.

5- سراقنة[1] - السارازان(Saracens):

اختُلِفَ في تفسيرِ معنى هذه اللفظة فمنهم من قال: أنَّ اللفظة مُركبة من" سارة" زوج إبراهيم، ومن لفظ" قين" فيكونُ المعنى هو عبيد سارة، وقال آخرون: إنَّه مُشتقٌّ من سرقَ، فيكون المُراد من سراكين، أو سراقين إشارةً لكُثرة غزوهم وسطوتهم، بينما فسرها آخرين بأنَّها مأخوذةٌ من شرقو، والمقصودُ بها سُكَّان الصحراء أو أولاد الصحراء[2].

ويعد الرحالة الإنكليزي سايلوف أكثر الرَّحَّالة الذين وصفوا المسلمين بوصف السَّرقنة، وأكثرهم استخداماً للفظ السارزان[3]، ولعلَّ من أبرز المواضع في رحلته" وصف الأراضي المقدسة التي وردت فيها لفظ السراقنة، قوله عند حديثه عن الطريق ما بين بيت المقدس ونهر الأردن: « تتصف الطريق من

---

[1] لا بدّ من الإشارة أنّ الرَّحلات الأجنبيَّة المتأخِّرة والتي حدثت خلال العصر المملوكي أي بعد تحرير بيت المقدس من أيدي الصليبيين سلكت نهج الرّحلات الأجنبية في العصور السَّابقة، فاستمرَّ هؤلاء الرَّحَّالة بإطلاق صفات تدلّ على التَّعصُّب الدِّيني المسيحي من قبل هؤلاء ضد العرب المسلمين، ولعلَّ من أشهر هذه الرّحلات الرحلة المشتركة لاثنين من الرحالة الإيطاليين وهما ليوناردو فريسكو بالدي وسيمونه سيغولي والذِّين ارتحلا إلى الأراضي المقدَّسة في فلسطين خلال الفترة(786- 787هـ/ 1384-1385م). بالدي، سيغولي(ليوناردو، سيمون): رحلات إلى الأراضي المقدسة، تر: شيرين إيبش، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2010م، ص21؛ محمود (إبراهيم سعيد فهيم): حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى (690- 923 هـ)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م، ج 2، ص 132.

[2] علي(جواد): المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1976م، ج1، ص27، 28.

[3] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص44، 45، 49، 51، 66.

البيت المقدَّس إلى الكنائس القريبة من نهر الأردن بأنَّها وعرة وصعبة، ففي مسالكها وبالقرب من جبالها الوعرة تلاحظ أعداداً كبيرة من السراقنة الَّذِّين اعتادوا على مهاجمة الحجَّاج»[1].

وبالمقارنة وردت الإشارة إلى لفظة السارزان المحرَّفة عن لفظة السَّراقنة في رحلة الألماني ثيودوريش عند حديثه عن مدينة يافا، إذ قال: « وبالقرب من يافا يقطن كثيراً من قوم السارزان»[2].

وقوله عن الكنائس المسيحية القريبة من نهر الأردن[3]: « وبالقرب من منابع نهر الأردن حيث توجد كنيسة يوحنا حيثُ أقام السراقنة كثيراً من الحصون»[4].

وأيضاً عند حديثه عن مدينة القدس، إذ قال: « و كانت بيت المقدس تابعة لقوم السراقنة لكن بحمد الله تمَّ استردادها»[5].

---

[1] سايلوف: وصف الأراضي المقدسة، ص 77.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص87.

[3] مثال ذلك ما قاله الرحَّالة يوحنا الورزبرجي عندما تحدَّث عن نهر دان في سفح جبل لبنان، فقال: « ويتدفقُ دان من مصدرٍ مهمٍّ..، ونظراً لوقوع دان في وسط ميدان دُعي السهل باسم لُغة السراقنة». الورزبرجي: وصف الأراضي المقدسة، ص83، 107.

[4] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص 98.

[5] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص 101.

وكذلك عند حديثه عن مدينة بيت لحم[1]، قائلاً « وفي بيت لحم يقيم السراقنة الَّذِّين يبجلون أماكن العبادة المسيحية فيها»[2].

خاتمة:

مما سبق يمكن أن نتوصَّل إلى النتائج التالية:

– إنَّ كافَّة كتابات الرحَّالة الغربيين قد دَخَلهَا شيءٌ قليل أو كثير من الزيف المُتعمَّد، لإدراكهم أنَّ الَّذين يَكتبونَ عنهم(العرب المسلمين) لا يقرأونَ كتاباتهم وبذلك يطعنُوا في شهاداتهم، لتحقيق أهدافها في الدِّعاية للسيطرة والاحتلال وخاصة في عصر الحروب الصليبية.

– إنَّ كلَّ ما قدَّمه أيُّ رحَّالة غربي لا يزيدُ على كونهِ رُؤية لظاهرة عربيَّة إسلاميَّة بعيون غربيَّة.

– اتَّبعتْ الرِّحلات الأجنبيَّة إلى بلاد الشام في العصر المملوكي نَهجاً مُتشابهاً في عمليةِ الترويج للحروب الصليبية، واعتمَدت على أساليب الإقناع والتأثير، وضربتْ على الوترين الديني والعاطفي، فكانتْ بحقٍّ تجسيداً للوعي المسيحيِّ الغربيِّ، وللصُورة النمطيَّة المغروسة في أذهانهم عن الأماكن المُقدَّسة، وعن المسلمين المُغتصبينَ لها حسبُ أفكارهُم.

---

[1] تجلَّت هذه اللفظة السَّراقنة عند الرحالة الإيطالي فريسكو بالدي عندما تحدَّث عن أعياد المسلمين، إذ قال: « يقيم السَّراقنة عيداً عظيماً يوم الإثنين». بالدي: رحلات إلى الأراضي المقدسة، ص41.

[2] ثيودوريش: وصف الأماكن المقدسة، ص104.

– لعلَّ من أهمِّ دوافعِ رحلاتهم زيارة الأماكن المُقدَّسة التي ارتبطت بسيرة السيد المسيح، وفي مقدمتِها كنيسة القيامة.

– اتَّفقت الرِّحلات الأجنبية باعتمادها في وصفِ الأماكن المُقدَّسة على الكتاب المُقدَّس، وربطُها بالتاريخ المسيحي، واعتمدوا على المُشاهدة في وصف المدن.

– إنَّ المعلومات التي قدَّمتها الرِّحلات الأجنبيَّة عن حياة العرب والمسلمين، لا سيَّما ما يخصُّ الجوانب الاجتماعيَّة كانت ضئيلة، كما أنَّ رحلاتهم لم تُركِّز على الجانب الحضاري والتاريخي لبيت المقدس الإسلامية، ولعلَّ أهمَّ ما ركَّزَ عليه الأجانب ذكرَهُم بعض أخلاقِ المسلمين، وصفاتِهم، ونعُوتِهم، إذ نَعَتوهم بنعوتٍ سلبية تكشف عن الخلفية العدائية عندهم، ودليلُ ذلك أنَّهم لم يتحدثوا عن المجازر البشعة التي ارتكبَها الصليبيين ضدَّ السُكان العرب والمسلمين الآمنين، وخاصة تلك المجازة التي ارتكبَها الصليبيون في القُدس عند احتلالهم المدينة، وبذلك يُمكن مُلاحظة غلبة التكوين الديني على عقليةِ مُعظم الرحَّالة الأجانب، على نحوٍ جعلَهم يُهملونَ الناحية الاقتصادية، والفكرية عند العرب المسلمين.

– وبذلك تجاهلتْ أغلبُ الرِّحلات الأجنبية في مضامينها الوجود الإسلامي في بلاد الشام، وقدَّم أصحابها صورة مُشوَّهة عنهم، فوصفوهم بأنَّهم سراقنة، ووثنين، وأعداء، ومغتصبين، وهمجيين، يَعتدونَ على الحُجَّاج المسيحيين،

ويُنَكِّلون بهم، ولم يقدِّموا فيها سوى الصورةِ النمطيَّة عن المسلمين، ومردُّ ذلك؛ أنَّ مُعظم أولئك الرحَّالة لمْ يختلطوا بالمُسلمين أو يحتكُّوا بهم بشكل مباشر، فكتبُوا عنهُم عن بُعدٍ، فخلتْ مُعظم رحلاتِهم من الموضوعية المُبرمَجُ لها من ناحيتهم.

– ركَّز مُجمل الرحَّالة الأجانب في رحلاتِهم على إبراز صورة إيجابيَّة للصليبيين الَّذين استوطنوا مُدن بلاد الشام، فَوصَفوا قوَّتَهم العسكرية، ومنعة حُصونهم، وغناهم الفاحش، ومعالمهم الحضارية، وعناية ملوكهم وقادتهم بأبناء ملَّتهم، ولا يُخفى ما في هذا الوصف من تشجيع على القدوم إلى هذه البلاد.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- قائمة المصادر:

1- المصادر العربية:

- **ابن الأثير(علي بن أبي الكرم ت 630هـ/1232م):**

التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبد القادر طليمات، جامعة عيش شمس، مصر، القاهرة، د.ت.

الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف العقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط4، 2003م.

- **ابن الأزرق الفارقي(أحمد بن يوسف):**

تاريخ الفارقي، تح: بدوي عبد اللطيف عوض، دار الكتاب، بيروت، 1974م

- **الأصفهاني(محمد بن محمد):**

تاريخ دولة آل سلجوق، بيروت، 1980م.

- **ابن الجوزي(أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ت 597هـ/1200م):**

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1992م.

- **ابن الحريري(أحمد بن علي ت 926هـ/1520م):**

الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تح: سهيل زكار، دار الملاح، دمشق، ط1، 1981م.

- **الخزرجي(علي بن الحسن):**

العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح: محمد بسيوني عسل، دار الآداب، ط2، بيروت،1983م.

- **ابن خلدون(عبد الرحمن 808هـ/ 1406م):**

تاريخ ابن خلدون مع المقدمة، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط2، 1988م.

- **ابن خلكان(أحمد بن محمد ت 681هـ/1282م):**

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1969م.

- **الدويهي(إسطفان ت 1116هـ/ 1704م):**

تاريخ الأزمنة، تح: بطرس فهد، دار لحد خاطر، لبنان، ط1، 1900م.

- **الذهبي(محمد بن أحمد ت 748هـ/1347م):**

الإعلام بوفيات الأعلام، تح: مصطفى بن علي عوض، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1، 1993م.

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1998م.

ذيول العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1985م.

دول الإسلام، تح: حسن إسماعيل مروة، دار صادر، ط1، بيروت،1999م.

العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1985م.

- **ابن سعيد المغربي(علي بن موسى ت 685هـ/1286م):**

الجغرافية، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970م.

- **الصفدي(خليل بن أيبك ت 764هـ/1363م):**

أُمراء دمشق في الإسلام، تح: صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 1983م.

الوافي بالوفيات، اعتناء: رمضان عبد التواب، دار فرانز شتاينر، فيسبادن، 1985م.

العظيمي (محمد بن علي ت 556هـ/1161م):

تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م.

- **أبو الفداء(إسماعيل بن علي ت 732هـ/ 1331م):**

المختصر في أخبار البشر، تح: محمد زينهم، محمد عزب، دار المعارف، القاهرة، ط1، 1999م.

ابن ظافر الأزدي (علي بن الحسين):

أخبار الدول المنقطعة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت.

- **القزويني(زكريا بن محمد ت 682هـ/1283م):**

آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادق، بيروت، 1960م.

- **ابن القلانسي(حمزة ت 555هـ/ 1160م):**

ذيل تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، دمشق، ط1، 1983م.

- **الكتبي(محمد بن شاكر ت 764هـ/1363م):**

عيون التواريخ، تح: نبيلة عبد المنعم داوود، فيصل السامر، دار الحرية، بغداد، ط1، 1984م.

النويري(أحمد بن عبد الوهّاب ت 733هـ/ 1332م):

نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: محمد ضياء الريس، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط3، 2007م.

- **ابن واصل(محمد بن سالم ت 697هـ/1298م):**

مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: حسين محمد ربيع، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط1، 1957م.

- **ابن الوردي(عمر بن المظفر):**

تاريخ ابن الوردي، المطبعة الحيدرية، النجف، 1969م.

2- المصادر الأجنبيَّة المُعرَّبَة:

- **بوردينون(أُودوريك أوف ت 732هـ/ 1331م):**

رحلة الفرير أُودوريك، تح: جوناثان بولارد، لندن، ط1، 1900م.

- **بورشارد(ق7هـ/ 13م):**

وصف الأرض المُقدَّسة، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1995م.

- **التطيلي(بنيامين ت 569هـ/ 1173م):**

الرحلة، تر: عزرا حداد، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 2002م.

- **ثيودوريش(ت 588هـ/ 1192م):**

وصف الأماكن المقدَّسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و رياض شاهين، دار الشروق، رام الله– فلسطين، ط1، 2003م.

- **داجيل(ريموند):**

تاريخ الفرنجة غزاة المقدس، تر: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية1991م.

- **الراتسبوني(بتاحيا):**

رحلة بتاحيا، دار الكتاب الثقافي، تر: فؤاد عبد الرحيم الدويكات، عمان، د.ت

- **الراهب(دانيال ت 516هـ/1122م):**

وصف الأرض المُقدَّسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و داود أبو هدبة، دار الشروق، عمان، ط1، 1992م.

- **سانوتو(مارينو ق 8هـ/ 14م):**

الأسرار، تح: سمر الخادم و بلليغرينو رونكاليا، دار الريحاني، بيروت، ط1، 1991م.

- **سايلوف(ق6هـ/ 12م):**

رحلة الحاج سايلوف إلى بيت المقدس والأراضي المُقدَّسة 1102– 1103م(وصف الأراضي المقدسة)، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشروق، رام الله– فلسطين، ط1، 1997م.

- **سوخم(فون ت 751هـ/ 1350م):**

وصف الأرض المقدَّسة، وقع ضمن الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، تر: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1999م.

- **سيغولي(سيمون ق8هـ/ 14م):**

رحلات إلى الأراضي المقدَّسة، تر: شيرين إيبش، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2010م.

- **الشارتري(فوشيه ت 521هـ/ 1127م):**

تاريخ الحملة إلى القدس(1095- 1127م)، تر: زياد العسلي، دار الشروق، عمان- الأردن، ط1، 1990م.

- **الصوري(وليم ت 581هـ/ 1185م):**

تاريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2003م.

- **فريسكو بالدي(ليوناردو ق8هـ/ 14م):**

رحلات إلى الأراضي المقدسة، تر: شيرين إيبش، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2010م.

- **فون آخن(ألبرت):**

تاريخ الحملة الصليبية الاولى و مملكة بيت المقدس(1095 - 1120م)، تر: محمد حمدان أحمد، دار الإعصار العلمي للنشر، دمشق.

- **الورزبرجي(يوحنا ت 621هـ/ 1224م):**

وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشيماء، رام الله- فلسطين، ط1، 2011م.

- **الفيتري(يعقوب ت 638هـ/ 1240م):**

تاريخ بيت المقدس، تر: سعيد البيشاوي، دار الشروق، عمان، ط1، 1998م.

- **فيتلوس(ت 564هـ/1168م):**

وصف الأرض المقدَّسة في فلسطين، تر: سعيد عبد الله البيشاوي و فؤاد عبد الرحيم دويكات، مؤسسة حمادة للدارسات الجامعية، إربد- الأردن، 2008م.

- **ماندڤيل(السير جون ت. بعد سنة 756هـ/1455م):**

أسفار السير جون ماندڤيل ورحلاته، تر: أنس الذهبي و رنا جزائري، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، ط1، 2012م.

3- المصادر باللُغة الأجنبيَّة:

- Mandeville. J; Voyages And Travels, Edited By Artgur Layard, D. Appleton & Co, New York, 1901.
- Meisner. M; Hajm, VVurzburg. VVurzburg, 1975.
- Amer. A: Ency VVurzburg, Vol. XX, New Jsrsy, 1981.
- Amer. E: VVurzburg, Vol, XXXIX, U .S. A, 1985, p. 568. ;
Brit. E: VVurzburg, Vol. XXIIV, U. S. A, 1958,.

ثانياً- قائمة المراجع

1- المراجع العربيَّة:

- **إبراهيم(عبد العزيز عبد الغني):**

روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، دار الساقي، بيروت، ط1، 2013م.

- **إمـام(هنـادي السـيد محمـود):**

مملكـة بيت المقدس فـي عهـد الملـك بلـدوين الأول (494- 512هـ/ 1100-118م)، تقـديم: محمـد مـؤنس عـوض، دار العالم العربي، القاهرة، 2009م.

- **البيشاوي(سعيد):**

نابلس – الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية، عمان، ط1 ، ١٩٩١م

الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989م .

- **حمودي(إمام الشافعي):**

الرؤى والأحلام المقدسة – عصر الحروب الصليبية، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، ط1، 2019م

- **توفيق(عمر كمال):**

مملكة بيت المقدس الصليبية، الإسكندرية، ط1، 1958م.

- **الدباغ(مصطفى مراد):**

بلادنا فلسطين، دار الطليعة، بيروت، 1974م.

- **دهمان(محمد أحمد):**

معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

- **زكار(سهيل):**

الموسوعة الشاملة في تاريخ الحروب الصليبية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1999م.

- **محمود (إبراهيم سعيد فهيم):**

حركة الحج الأوروبي إلى الأماكن المقدسة في الشرق الأدنى (690- 923 هـ)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2007م.

- **السامرائي(إبراهيم):**

المجموع اللفيف، دار عمار، عمان، 1987م.

- **سعيد(حبيب):**

سيرة بولس الرسول، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، ط٣، ١٩٨٧م.

- **عبد الله(جوزف):**

منتخبات التواريخ والأثار مما خلفه الرحالة الغربيون حول عكار والجوار، مكتبة السائح، طرابلس- لبنان، 2010م.

- **عبدالمنعم(سرور علي):**

طريق يافا- القدس ودوره في الصراع الصليبي الإسلامي (492- 548هـ/ 1099- 1153م)، جامعة عين شمس، 2009م.

- **علي(جواد):**

المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1976م.

- **عوض(محمد مؤنس):**

الرحالة الأوربيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1992م .

معجم أعلام الحروب الصليبية، مكتبة الآداب القاهرة، 2015م.

- **نعيرات(أسامة):**

اقطاعية بيسان ودورها في الصراع الإسلامي الفرنجي، مؤسسة الأسوار، عكا، فلسطين، ط1، 2002م.

- **النقر (محمد الحافظ):**

كتابات الرحالة الأوربيين عن مملكة بيت المقدس، جامعة آل البيت، المفرق– الأردن، 1999م.

ثانياً– المراجع الأجنبيَّة المُعرَّبة:

- **جونز:**

مدن بلاد الشام، تر: إحسان عباس، دار الشروق، عمان، ط1، ١٩٨٧م .

- **بالار(ميشيل):**

الحملات الصليبية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر إلى القرن الرابع عشر، تر: بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، ط1، 2003م.

- **سترانج(لي):**

فلسطين في العهد الإسلامي، تر: محمود عمايري، جمعية المطابع التعاونية، عمان، ط1، ١٩٧٠م.

- **سعيد(إدوارد):**

الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995م.

- **سميث(جوناثان رايلي):**

حال الصليبيين الذهنية تجاه الشرق، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2007م.

ما هي الحروب الصليبية، تر: محمد فتحي الشاعر، دار المعارف، القاهرة، 1990م.

- **لويس(أرشيبالد):**

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر: أحمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط1، 1960م.

- **رنسيمان(ستيفن):**

تاريخ الحروب الصليبية، ، تر: السيد الباز العريني، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1997م.